قُل لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام

الجزء الأول و الثاني

مؤسسة البلاغ

BP
٣٧
/٣٥
م٨/
٧ ألف
١٤٠٤ق

www.haydarya.com

٢٤٧٦

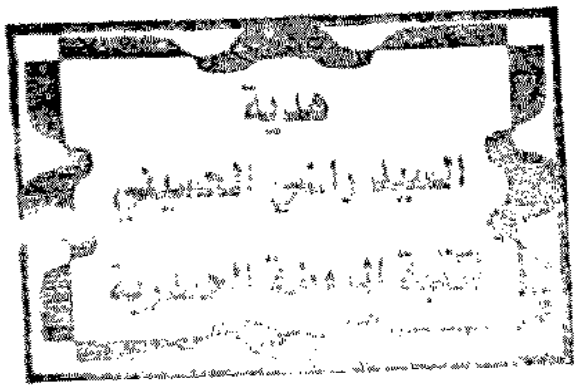

أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

اسم الكتاب : الامام علي بن ابي طالب (ع) .
الموءلف : لجنة التأليف .
الناشر : موءسسة البلاغ .
الطبعة الثانية : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
المطبعة : چاپخانهٔ كيهانك
العدد : ٣٠٠٠٠ نسخة

صفحة ١٣

أهل البيت

٢

أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٣٦٣١٢٥
التاريخ ١١١٥

مؤسسة البلاغ

DP
٣٧/٣٥
/P٨
٧ الف
١٤٠٤ق

مؤسسة البلاغ

ص.ب ١٩٣٩٥/١٩٧٧
الجمهورية الاسلامية في ايران

AL-BALAGH
FOUNDATION

P.O.BOX:1977/19395
ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

حقوق الطبع والتصوير محفوظة
ومحفوظة لمؤسسة البلاغ والمؤلف

الترجمة الأمينة الى أية لغة
جائزة للجميع بعد عرضها على مؤسسة البلاغ

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

القرآن الكريم

الجزء الأول

« يا علي
أنت أول المؤمنين ايماناً
وأنت أول المسلمين اسلاماً
وأنت مني بمنزلة هارون من موسى »*

« رسول الله (ص) »

---

* – ذخائر العقبى : المحب الطبري ، ط / القاهرة عام ١٣٥٦ هـ ص ٥٨ .
برواية عمر بن الخطاب .

مقدمة

« ما لقي أحد في هذه الأمة
ما لقيت . . . »[1] الامام علي (ع)

لم يلاقِ ، عظيم في التاريخ البشري ، ما لا قاه علي بن أبي طالب – ع – ، من ظلم واثرة في حياته ، وبعد موته . . .

فاذا كان قد عانى الكثير في حياته ، المليئة بالمآثر والأمجاد ، فإن الظلم قد استبد به ، فحرم من أبسط الحقوق وهي : كتابة تاريخه ، بانصاف وصدق ، بعد وفاته ، ولفترة طويلة .

فبعد رحيل الإمام إلى الرفيق الأعلى ، أخضعت أجيال

---

١ – أنساب الأشراف / للبلاذري جـ ٢ ص ١٧٧

الأمة الإسلامية ، لعملية مسح دماغي ، ليس لها مثيل ، كي تنسى علياً – ع – ، ودوره الإيجابي الفعال ، في دفع حركة الاسلام التاريخية ، نحو العزة والمجد . . أو لتأخذه في اطار مشوه ممسوخ ! !

وحسبك ، ان عشرات من السنين ، قد سخرت فيها المنابر – وهي أعظم الأجهزة التربوية والاعلامية لدى المسلمين يومذاك – في سب علي – ع – وتشويه تاريخه الفذ . . . حقداً على الاسلام ، وثأراً لمشركي بدر . . . .

فكانت « خطبة الجمعة » مثلاً في العهد الأموي ، تفتتح بالنيل من الامام – ع – ، بكلمات يأبى التاريخ أن تسطر على صفحاته[٢] وكانت تسند تلك العملية قوىً ، وأجهزة حكم ، ورواة ومحدثون مأجورون ، ومؤرخون للسلاطين ، و . و . . . محاولة طمس معالم تاريخ الامام علي – ع – . . .

بيد أن تاريخ الامام علي – ع – ، وان كان تعرض لذلك اللون المخجل ، والطمس والتزوير ، والتجهيل ، فإن أحداً ، كائناً من كان ، ليس بمقدوره أن يطمس معالمه الأساسية ،

---

٢ – راجع نماذج من ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٦١ وما بعدها ط دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩ .

لارتباطها العضوي بالاسلام الحنيف ومجده . . فحبل الكذب قصير . . . ولا يحيق المكر السيء الا بأهله :

وهكذا ، فإن الأقلام المأجورة ، وتشكيلة المرتزقة ، التي حاولت أن تكتب لعلي تاريخاً على هواها ، ووفقا لمصالحها ، وما تملك من خلفيات ومرامي منخفضة ، قد أخطأت التقدير ، وجهلت أن الحق لا يمكن أن يحجب طويلاً ، وأن الزبد لا بد أن يذهب جفاء .

ومؤسسة البلاغ، التي أخذت على عاتقها – مستعينة بالله تعالى – أن تنشر الفكر الاسلامي الأصيل ، وتضع أمام الأمة المسلمة ، حقائق تاريخها ، بعد نفض تراب التعمية والتضليل عن كاهلها ، تقدم في هذا الكتاب دراسة حول حياة علي بن أبي طالب – ع – ، ودوره الأساسي ، في بناء حضارة الاسلام ومجده . .

وستكون الدراسة حول حياة الامام علي عليه السلام : الحلقة الثانية من سلسلة أهل البيت (ع) ، وفي ثلاثة أجزاء :

نتناول في الجزء الأول – وهو الذي بين أيدينا – سيرة أمير المؤمنين (ع) ، في عهد رسول الله (ص) ، وعهد الخلفاء .

وفي الجزء الثاني : ينصب البحث على دراسة الامام (ع) ، أيام توليه « امامة » المسلمين ، ومواقفه البطولية النبيلة ، في مجالات

السياسة ، والادارة ، والاقتصاد ، والمالية ، والاجتماع ، وشؤون الحرب والسلم .

أما الجزء الثالث : فيتخصص في ابراز الملامح الأساسية لشخصية أمير المؤمنين (ع) : في علاقته بالله تعالى ، وعلاقته بالناس من حوله ، وعطائه العقائدي ، والعلمي ، والفكري ، الذي أسداه للأمة الاسلامية والناس أجمعين .

والله نسأل التسديد والتأييد ، والهداية والعمل : من أجل تكريس كل الطاقات ، والامكانات الايمانية الصادقة ، في اطار الصراع الفكري القائم ، بين الأمة الاسلامية المجاهدة ، وبين خصومها الألداء ، حتى تسود شريعة الاسلام العظيم . . . انه سميع مجيب .

مؤسسة البلاغ

بزوغ الفجر

في يوم الجمعة ، الثالث عشر من شهر رجب المبارك ، وقبل بعثة محمد رسول الله (ص) باثنتي عشرة سنة ، اشتد المخاض على فاطمة بنت أسد ، فجاء بها أبو طالب الى الكعبة المشرفة ، وأدخلها فيها ثم قال لها اجلسي . . . وخرج عنها فرفعت يدي الضراعة الى العلي الأعلى سبحانه قائلةً : « ربي إني مؤمنة بك ، وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة بكلام جدي ابراهيم الخليل – ع – وانه بنى البيت العتيق ، فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلاَّ ما يَسرتَ عليَ ولادتي »[٢] .

ولم يمض على فاطمة غير ساعة حتى أعلنت أنها قد ولدت

---

٢ – كشف الغمة ج ١ – فصل ذكر الامام علي – ع –

ذكراً ، وهو أول مولود ولِدَ في الكعبة المشرفة ولم يولد فيها بعده سواه تعظيماً له من الله سبحانه واجلالاً[٤] ، وأسرع البشير الى أبي طالب وأهل بيته ، فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم . .

وتقدم من بينهم محمد [٥] (ص) فضمه الى صدره وحمله الى بيت أبي طالب ، حيث كان الرسول في تلك الآونة ، يعيش مع خديجة ، في دارهما منذ زواجه منها .

وانقدح في ذهن ابي طالب ، أن يسمي وليده « علياً » وهكذا كان . .

وأقام أبو طالب وليمة ، على شرف الوليد المبارك ، ونحر الكثير من الأنعام [٦] .

وقد حضر وليمته جمع حاشد من الناس : قدموا التهاني ، وعاشوا ساعات من البهجة ، أبدوا فيها مشاعرهم الفياضة ،

---

٤ – مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣ والكفاية للحافظ الكنجي الشافعي وشرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي ص ١٥ ونور الابصار للشبلنجي ص ٧٦ ومطالب السؤال ص ١١ لمحمد أبي طلحة الشافعي والمناقب للأمير محمد صالح الترمذي . نقلا عن الغدير ج ٦ من ٢٢ الى ٣٨ لعبد الحسين الأميني ط ٣ سنة ٩٦٧، بيروت .

٥– الفصول المهمة في معرفة الأئمة / لابن الصباغ المالكي / الفصل الأول ص ١٣ .

٦ - البحار ج ٣٥ ص ١٨ .

وأحاسيسهم السامية ، نحو عميدهم شيخ الأبطح ، ووليده المبـارك . . .

ومرت الأيام سريعة ، والوليد المبارك يتقلب بين أحضان والديه : أبي طالب ، وفاطمة ، وابن عمه محمد (ص) ، الذي كان دائم التردد على دار عمه ، التي ذاق فيها دفء المودة ، وشرب من ينابيع الاخلاص والوفاء الصافية ، خلال سنوات صبـاه وشبابه . . .

أجل كان محمد (ص) يتردد كثيراً على دار عمه ، بالرغم من زواجه من خديجة ، وعيشه معها في دار منفردة ، وكان يشمل علياً بعواطفه ، ويحوطه بعنايته : – يناغيه في يقظته ، ويحمله على صدره . . ويحرك مهده عند نومه ، الى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية . .

في كفالة رسول الله (ص) : –

وبعد مضي ست سنوات على ولادة علي – ع – تعرضت قريش لأزمة اقتصادية خانقة ، وقد كانت وطأتها شديدة على أبي طالب ، إذ كان رجلاً ذا عيال كثيرة ، وكهفاً يلوذ به المحتاج والفقير ، بحكم مركزه الاجتماعي في مكة . . . أيرضى المصطفى (ص) وبنو هاشم ، أن تقسو الحياة على عميدهم ؟!

أقبل الرسول (ص) على عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو أثرى بني هاشم يومها ، فخاطبه بقوله : « . . . يا عم ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا الى بيته لنخفف من عياله ، فتأخذ أنت رجلاً واحداً ، وآخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه . . » [٧] .

وحظي رأي المصطفى (ص) بالتأييد والرضاء من لدن عمه العباس ، فأسرعا الى أبي طالب ، وخاطباه بالأمر ؛ فاستجاب لما عرضا قائلاً : « اذا تركتما لي عقيلاً وطالباً ، فاصنعا ما شئتما . . » [٨] .

فأخذ العباس جعفراً . .

وأخذ رسول الله (ص) علياً – ع – ، وكان عمره يومئذٍ ستة أعوام [٩] ، وقد قال (ص) بعد أن اختار علياً (ع) : قد اخترت من اختاره الله لي عليكم – علياً [١٠]

---

٧ – الفصول المهمة / لابن الصباغ الفصل الأول ص ١٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ١٥١ .

٨ – سيرة ابن هشام ج ١ باب ذكر أن علي بن أبي طالب أول ذكر أسلم ص ٢٨٤ . وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٤ وشرح النهج ج ١ ص ١٥

٩ – في رحاب علي / خالد محمد خالد ص ٤٦ ط /٢ دار الأندلس بيروت وشرح النهج ج ١ ص ١٥

١٠ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ نقلا عن البلاذري والأصفهاني

وهكذا عاش علي (ع) منذ نعومة أظفاره في كنف محمد (ص) : نشأ تحت رعايته ، وشرب من ينابيع مودته وحنانه ، ورباه وفقاً لما علمه ربه تعالى ، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ ، حتى لحق الرسول (ص) بربه الأعلى . .

حصيلة الأعداد النبوي :

أشار الامام علي (ع) الى أبعاد التربية التي حظي بها من لدن قائده الرسول (ص) ، ومداها وعمقها ، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة ، إذ جاء فيها ما نصه : « وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله ، بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره ، وأنا ولد ، يضمني الى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل .

« ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله ، من لدن ان كان فطيماً ، أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به .

« ولقد كان يجاور في كل سنة (بحراء) ، فأراه ولا يراه

غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام ، غير رسول الله – صلى الله عليه وآله – وخديجة ، وأنا ثالثهما . أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة . . »[11] .

والذي يستقري هذا النص ، بامعان ، يتجلى له أن علياً – ع – قد حظي برعاية الرسول (ص) وحدبه ، وإيثاره أيام طفولته ، فكان يمضغ الشيء ثم يضعه في فيه ، ويضعه في حجره ، ويضمه الى صدره ، ويعامله كما لو كان ولده الحبيب . . .

أما في صباه ، وشبابه ، فقد انصب جهد رسول الله (ص) على تكوين شخصيته : إذ كان يأمره بالاقتداء به ، وسلوك سبيله ، وفي كل يوم يرفع له من أخلاقه علماً وعليٌّ كان يتبع أثره ، أولاً بأول ، كما يصف ذلك في حديثه .

ولهذا وذاك ، فإن من خطل الرأي ، أن لا يعتقد امرؤ أن مسألة اختيار علي – ع – من لدن الرسول – ص – كانت هادفة ابتداءً لكي يأتي صورة لرسول الله – ص – في فكره ومواقفه وشتى ألوان سلوكه ، بل حتى في مشيته[12].

فلقد كان الإمام – ع – من الصفاء الروحي ، والاستقامة

---

١١ – نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح ط ١ ١٩٦٧ ص ٣٠٠ .

١٢ – علي بن أبي طالب عبد الفتاح عبد المقصود ج ١ ص ٣٩ .

الخلقية ، وفقاً لما علمه رسول الله (ص) ، بحيث كانت تتكشف له الكثير من حجب المستقبل المستور ، فها هو يقول : « ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه ، صلوات الله عليه ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال : هذا الشيطان قد آيس من عبادته ، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبي ، ولكنك وزير ، وانك لعلى خير . . . »[١٢].

فان الشوط الذي قطعه في مضمار التقرب الى الله سبحانه ، وامتثال أوامره ، وتجسيد متطلبات رسالته ، رشحه لأن يكون وزيراً للنبوة ، وهو مقام ، لا يناله إلا من قطع شوطاً بعيداً ، باتجاه قمة الفضيلة والتقى ، فلم يفصله عن الرسول (ص) إلاّ درجة النبوة ، فارتقى منصة الوزارة بحق وجدارة ، وهكذا كان علي . . .

في كنف الوحي

وإذا كان الإمام – ع – قد عاش ست سنوات ، في أحضان والديه واخوته ، وكان لرسول الله – ص – دور بارز في رعايته ،

---

١٢ – نهج البلاغة ص ٣٠١ (الخطبة القاصعة) . تبويب د . صبحي الصالح

طوال تلك السنوات الندية من عمره – ع – . فان رعاية علي وتربيته ، صارت من اختصاص المصطفى – ص – دون منازع ، منذ السنة السادسة ، حيث انتقل – ع – الى داره – ص – على إثر الضائقة المالية التي ألمت بأبيه أبي طالب ، كما ذكرنا .

ومنذ تلك السن المبكرة عاش علي – ع – مع رسول الله (ص) في بيته قبل الدعوة ، حيث قضى تحت رعايته سنوات الصبا وسنوات التفتح على الحياة ، وخلالها عاش الامام – ع – كل التطورات التي اكتنفت حياة الرسول – ص – . . . . .

فعلي لم يحظ بالتربية المألوفة ، التي يحظى بها غالباً طفل من لدن أبيه ، أو صغير من لدن أخيه الأكبر ، وانما كان اعداده وتربيته من نوع خاص ، وحسبك أنه كان يتبع محمداً – ص – حتى في ساعات اختلائه في غار حراء . . . ويشهد التطور الروحي والفكري الذي كان رسول الله – ص – يمر فيه ، وها هو – ع – يستذكر تلك الأيام الخالدة وذلك الشطر الحساس من حياته ، فيقول : « . . . ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ، ولا يراه غيري »[١٤] – كما ألمحنا إلى ذلك – أجل كان – ع – يعيش التحول الروحي الهائل ، الذي شهدته نفس المصطفى

---

١٤ – الخطبة القاصعة من نهج البلاغة ص ٣٠١ تبويب د . صبحي الصالح .

– ص – ، حتى أشرق عليه وحي السماء المبارك ، .

ولقد كان للمستوى الروحي والخلقي البعيد المدى ، الذي سمت إليه نفس علي – ع – ، أن شعر بالتحول الكبير ، الذي جرى في عالم الغيب ، من انهزام للشيطان ، بعد يأسه من أن يُعبد ، فور بعثة الرسالة الخاتمة . . . فلقد شهد علي ارهاصات النبوة ، التي شهدها أستاذه ومعلمه الرسول – ص – ، وعاشها كما عاشها بملء كيانه ، حين سطع الهدى ، وتلقى رسول الله – ص – أول بيان من السماء ، لتكليفه بحمل الرسالة

(اِقْـرَأْ بِـاسْمِ رَبِّكَ الذى خَلَقَ ۞ خَلَقَ الانْسَانَ مِـنْ عَلَقٍ ۞ اِقْـرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ اَلذّي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الاِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ)

(العلق /١ ــ ٥)

اول المومنين

حين تلقى الرسول – ص – بيان التكليف الإلهي ، بحمل الرسالة ، عاد إلى بيته فأطلع علياً [١٥] – ع – بأمره فاستقبله – ع – بالتصديق واليقين ، كذلك فعلت خديجة الكبرى ، فانبثق من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتقين في الأرض .

على أنه يجدر بنا ، أن نعي أن علياً – ع – لم يدعه الرسول

١٥– اضافة الى كتب التاريخ التي تصرح بأن عليا أول الناس اسلاماً فهناك عدة أحاديث عن رسول الله – ض – تجسد هذه الحقيقة راجع المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ومناقب الخوارزمي وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٦ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥ وسيرة زيني دحلان في هامش الحلبية ج ١ ص ١٨٨ : نقلا عن الغدير ج ٣ ص ٢٢٠– ٢٤٢ ط ١٩٦٧/٣ بيروت .

– ص – الى الاسلام كما دعا غيره فيما بعد ، أبداً ، لأن علياً – ع – كان مسلماً على فطرة الله تعالى ، لم تصبه الجاهلية بأوضارها ، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها ، وكل الذي كان : أن علياً – ع – قد أطلعه الرسول القائد « ص » على أمر دعوته ومنهج رسالته ، فأعلن تصديقه وأيقن بالرسالة الخاتمة ، وبادر لتلقي توجيهاته المباركة تلقي تنفيذ وتجسيد . . ولهذا يقال (كرم الله وجهه) .

فان علياً – ع – كان مؤهلاً – كما بينا في مطلع الحديث – لاتباع رسول الله (ص) في دعوته ، لأنه – ص – كان قد أنشأ شخصيته ، وأرسى لبناتها الأساسية .

ولا أظنني أضيف جديداً إذا قلت أن الإمام – ع – لم يفاجأ بأمر الدعوة المباركة ، طالما عاش في كنف رسول الله – ص – وتفيأ ظلاله ، فالمصطفى (ص) – كما نعلم – كان يعبد ربه تعالى وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته ، قبل أن يتنزل عليه وحي السماء ، بأول سورة من القرآن الكريم . .[١٦]

وعلي – ع – كان مطلعاً على عبادة أخيه رسول الله – ص – وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية ، فكان يتعبد معه ، وينهج نهجه ، ويسلك سبيله ، في تلك السن المبكرة من عمره . .

---

١٦ – يراجع كتابنا / محمد رسول الله / الدعوة / من منشورات دار التوحيد .

اول المومنين

حين تلقى الرسول – ص – بيان التكليف الإلهي ، بحمل الرسالة ، عاد إلى بيته فأطلع علياً [١٥] – ع – بأمره فاستقبله – ع – بالتصديق واليقين ، كذلك فعلت خديجة الكبرى ، فانبثق من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتقين في الأرض .

على أنه يجدر بنا ، أن نعي أن علياً – ع – لم يدعه الرسول

١٥– اضافة الى كتب التاريخ التي تصرح بأن عليا أول الناس اسلاماً فهناك عدة أحاديث عن رسول الله – ص – تجسد هذه الحقيقة راجع المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ومناقب الخوارزمي وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٦ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥ وسيرة زيني دحلان في هامش الحلبية ج ١ ص ١٨٨ : نقلا عن الغدير ج ٣ ص ٢٢٠– ٢٤٢ ط ١٩٦٧/٣ بيروت .

– ص – الى الاسلام كما دعا غيره فيما بعد ، أبداً ، لأن علياً – ع – كان مسلماً على فطرة الله تعالى ، لم تصبه الجاهلية بأوضارها ، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها ، وكل الذي كان : أن علياً – ع – قد أطلعه الرسول القائد « ص » على أمر دعوته ومنهج رسالته ، فأعلن تصديقه وأيقن بالرسالة الخاتمة ، وبادر لتلقي توجيهاته المباركة تلقي تنفيذ وتجسيد . . ولهذا يقال (كرم الله وجهه) .

فان علياً – ع – كان مؤهلاً – كما بينا في مطلع الحديث – لاتباع رسول الله (ص) في دعوته ، لأنه – ص – كان قد أنشأ شخصيته ، وأرسى لبناتها الأساسية .

ولا أظنني أضيف جديداً إذا قلت أن الإمام – ع – لم يفاجأ بأمر الدعوة المباركة ، طالما عاش في كنف رسول الله – ص – وتفيأ ظلاله ، فالمصطفى (ص) – كما نعلم – كان يعبد ربه تعالى وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته ، قبل أن يتنزل عليه وحي السماء ، بأول سورة من القرآن الكريم . .[١٦]

وعلي – ع – كان مطلعاً على عبادة أخيه رسول الله – ص – وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية ، فكان يتعبد معه ، وينهج نهجه ، ويسلك سبيله ، في تلك السن المبكرة من عمره . .

---

١٦ – يراجع كتابنا / محمد رسول الله / الدعوة / من منشورات دار التوحيد .

أما حين فاتحه رسول الله – ص – بأمر الدعوة الإلهية ، فقد لبى النداء بروحه ووعيه وكل جوارحه ، دون أن يباغت في الأمر ، وان كان هناك من جدة في المسألة ، فإنما هي في الكيفية التطبيقية للرسالة ودرجة المسؤولية الواجب تحملها ، أو تفاصيل الاحكام . . . وحين بُلِّغ رسول الله – ص – بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوة المباركة ، بلغ كذلك ، أن تنصب دعوته أولاً على

الخاصة من أهل بيته – ع – ، وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله : « فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر ما أنعم الله عليه ، وعلى العباد به ، من النبوة سراً الى من يطمئن إليه من أهله . . »[١٧] ومن أجل ذلك فاتح علياً وخديجة بالدعوة – كما ذكرنا – وبعدهما زيد بن حارثة ، وبقي أمرها طي الكتمان لا يعلمه غير هؤلاء ، وبعض الخاصة من أهل البيت – ع – .

وقد أشار الإمام علي بن الحسين – ع – في حديث له حول اسلام جده علي بن أبي طالب – ع – بقوله : « . . ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله – ص – وسبق الناس كلهم الى الإيمان

١٧– جـ ١ ص ٢٥٩ مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٦ تحقيق مصطفى السقا وجماعة .

بالله وبرسوله والى الصلاة ثلاث سنين[١٨] » .

ولأسبقيته في حمل الدعوة أشار الامام – ع – في حديث جاء فيه « . . . ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة ، وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة . . » .

وبعد أن تخطت الدعوة مرحلة دعوة الخاصة من أهل البيت (ع) جاءت مرحلة دعوة من يتوسم رسول الله (ص) فيهم القبول لدعوته ، فانخرط عدد من الناس في سلك الدعوة ، كان أغلبهم من الشباب ، وكانت لقاءاتهم من أجل قراءة القرآن الكريم ، والتعرف على أحكام دين الله تعالى تتم بصورة سرية . .

أول الدعاة

ثم أذن الله عز وجل لرسوله – ص – بدعوة عشيرته الأقربين من بني هاشم ، ليوسع من مدار الدعوة بذلك ، فقال تعالى :

---

١٨ – الروضة من كتاب الكافي ج ٨ حديث اسلام علي – ع – وهناك أحاديث بهذا الصدد يرويها كل من النسائي وابن ماجة والحاكم والطبري في تاريخه والرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠٠ وغيرها راجع ٢٢١–٢٤٠ ج ٣ من الغدير ، على أن تلك الروايات تشير

(. . . وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)

(الشعراء /٢١٤ ـ ٢١٦)

فلما تلقى رسول الله – ص – أمر ربه الأعلى بانذار عشيرته الأقربين ، أمر علياً – ع – أن يدعوهم الى طعام عنده ، فحضروا الى دار رسول الله – ص -- وكانوا أربعين رجلاً ، .

وبعد أن تناولوا طعامهم ، بادرهم الرسول – ص – بقوله

« . . يا بني عبد المطلب ، إن الله بعثني الى الخلق كافة ، وبعثني اليكم خاصة ، فقال : « وأنذر عشيرتك الأقربين » وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان ، تملكون بهما العرب والعجم ، وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة ، وتنجون بهما من النار ، شهادة أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله » فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني عليه ، وعلى القيام به يكن

الى أن ايمان علي وعبادته قد سبق فيها الناس بسبع أو تسع سنين ، وهي لا تخالف القول بثلاث سنين أبداً فان المراد بأنه سبق بالتصديق بالاسلام بعد الدعوة بثلاث سنين وسبق سواه بالايمان والتعبد مع الرسول (ص) في مرحلة الاعداد التي أشار اليها في خطبة القاصعة بسنوات أخرى . . .

أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي . . » [١٩].

وبين تنديد أبي لهب ، وتحذيره للرسول – ص – من الاستمرار بالدعوة من جهة ، وتأييد أبي طالب له ومخاطبته الرسول – ص – بقوله : « فامض لما أمرت به ، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك [٢٠] »

أقول من خلال التأييد ، الذي أعلنه أبو طالب ، والتنديد البليد الذي أعلنه أبو لهب ، وقف علي بن أبي طالب – ع – وكان أصغر الحاضرين سناً فقال : « أنا يا رسول الله أوازرك على هذا الأمر » فأمره الرسول – ص – بالجلوس ، ولما لم يجبه أحد نهض علي ثانية والرسول – ص – يجلسه . . .

وأعاد الرسول – ص – دعوته الى قومه ، فلم يجبه أحد ،

١٩– أخرج الحديث كل من : ابن اسحاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم ، والبيهقي في سننه وفي دلائله ، والثعلبي ، والطبري في تفسيرهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين ، وأخرجه الطبري في تاريخ السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨١ ، والطحاوي ، والضياء المقدسي في مختاره ، وأحمد بن حنبل ج ١ ص ١١١ و ص ١٥٩ ، والنسائي في خصائصه ص ٦ ، وكنز العمال ج ٦ الحديث رقم ٦٠٠٨ ، والمفيد في ارشاده في مناقب علي – ع – وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بألفاظ متقاربة / نقلاً عن المراجعات للسيد شرف الدين ص ١٢٤ وما بعدها .

٢٠– صور من حياة محمد / أمين دويدار ص ١٤٠ ، وفقه السيرة / للغزالي ص ١٠٢–١٠٣ ، يراجع الهامش أعلاه .

وكان صوت علي – ع – وحده يلبي الدعوة ، ويبدر بالمؤازرة والنصرة ، فمزق صمتهم بصلابة إيمانه ، وقوة يقينه ، وحيث لم يجب رسول الله – ص – أحد للمرة الثالثة . . . التفت الى مجيبه الوحيد ، قائلاً : « اجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي[٢١] » .

فنهض القوم من مجلسهم ، وهم يخاطبون أبا طالب : « ليهنئك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك ، فقد جعل ابنك أميراً عليك[٢٢] » .

مواجهة الجاهليين :

ودخلت الدعوة الى الله مرحلة المواجهة – بعد انذار العشيرة – وأول من قاد ردّ الفعل أبو لهب وزوجته ، وكانا يعترضان رسول الله – ص – ويزرعان المشاق في طريقه ، لاثنائه عن دعوته المباركة ، ولكن دعوة الله سبحانه مضت ، تشق طريقها في المجتمع الجاهلي المتحجر ذاك ، فقد انتقلت بعد ابلاغ العشيرة الى الدعوة العامة ، حيث وقف رسول الله (ص) عند البيت

٢١–٢٢– صور من حياة محمد / أمين دويدار ص ١٤٠ ، وفقه السيرة / للغزالي ص ١٠٢–١٠٣ ، يراجع هامش رقم (١) ص ٢٢ من هذا الكتاب .

الحرام ، وخاطب الجموع بأنه رسول الله اليها [٢٣]. . .

وبعد الدعوة العامة تزايد عدد المؤمنين وأغلبهم من الشباب ومن شتى قطاعات المجتمع المكي . .

وكان لتزايد عدد المؤمنين برسالة الله تعالى أثر بالغ على موقف الجاهليين ، فقد سلكوا أسلوب الارهاب للرعيل الأول من المؤمنين ، فكانت كل قبيلة وكل بيت يتصدى لمن فيه من المؤمنين بالتعذيب والاضطهاد[٢٤] ، والمؤمنون يزدادون صموداً وايماناً بصوت الحق والهدى ، الذي دوى به صوت رسول الله – ص – فرددته النفوس الظمأى الى الخير والانعتاق . .

وبسبب التعذيب الجسدي الوحشي ، الذي صب على المؤمنين ، كانت هجرة الحبشة التي قادها جعفر بن أبي طالب والذي يكبر علياً – ع – بعشر سنين ، وكان لجعفر وحكمته الأثر الفعال في إفشال مخطط قريش في إثارة ملك الحبشة على المهاجرين ، لطردهم من بلاده[٢٥]

---

٢٣ – تراجع الحلقة الأولى من كتاب محمد رسول الله / الدعوة / منشورات دار التوحيد .

٢٤–٢٥– المصدر السابق – تراجع الحلقة الأولى – .

أبو طالب يتصدى لأعداء الرسالة :

وإذا كانت قريش قد تصدت للسابقين من المؤمنين بالعنف والاضطهاد ، فإنها ليست قادرة على التصدي لرسول الله – ص – ، قائد الدعوة ورسولها ، بنفس المستوى ، لعلمها أن أبا طالب شيخ الأبطح ، يحول دون تحقيق أي لون من ألوان التصدي والارهاب لرسول الله (ص) .

فأبو طالب ، رجل مرهوب الجانب ، ذو سطوة ونفوذ ، ليس في بني هاشم وحدهم ، وإنما في قبائل مكة كلها .

وقد كان الرجل سند الدعوة وجدارها الشامخ ، الذي تستند اليه منذ تباشير فجرها الزاهر . . وقريش ، كانت تدرك ذلك تماماً .

ومن أجل ذلك ، سلكت أسلوب المفاوضة ، والمساومة والاغراء : تفاوض الدعوة والرسالة في شخص الرسول (ص) مرة ، وفي شخص أبي طالب مرةً أخرى . . فحين كانت تعرض المال والسلطان على رسول الله (ص) ، مقابل تركه الدعوة ، والتنازل عن الرسالة ، فانها كانت تفاوض أبا طالب ، وتحاوره بشأن دعوة الرسول (ص) ، طالبة أن يستعمل نفوذه ، بالضغط عليه ، لترك رسالته ، وتهدده باحتدام الصراع بينه وبين قريش

كلها ، اذا لم يخلّ بينهم وبين رسول الله (ص) ، ويكف عن اسناده له .

بيد أن أبا طالب ، كان يعلن اصراره على التزام جانب رسول الله (ص) ، والذود عنه ، مهما غلا الثمن ، وعظمت التضحيات.

أبو طالب في الحصار مع رسول الله (ص) :

ولما استبد اليأس بقريش ، من أن أبا طالب لن يفرّط بمحمد (ص) ودعوته . . عقد زعماؤها اجتماعاً طارئاً في دار الندوة – وهي دار قصي بن كلاب ، التي اعتادت قريش أن تجتمع فيها للتشاور في القضايا المصيرية من حياتها . وتوصل المجتمعون الى قرار ، يقضي بحصار بني هاشم ، ومن يلوذ بهم ، حصاراً اقتصادياً واجتماعياً ، ينصب على عدم مبايعة بني هاشم أو الشراء منهم ، أو تزويجهم ، أو التزوج منهم ، وقد ذيل قرار المقاطعة ذلك بأربعين توقيعاً لزعماء قريش . . .

ودخل بنو هاشم شِعْب أبي طالب ، بناء على أوامر من عميدهم أبي طالب ذاته ، حماية لأنفسهم من سطوة قريش ، وأصبح من المتعذر عليهم الخروج الى مكة ، الا في موسم العمرة في رجب ، وموسم الحج في ذي الحجة من كل عام . وبالنظر لتفاقم الموقف

بين بني هاشم وقريش ، شدد أبو طالب الحراسة على الشعب ، بعد تحصينه ، خشية هجوم قريشي مباغت . . .

واستمر الحال ببني هاشم ، بما فيهم رسول الله (ص) وعلي ابن أبي طالب – ع – هكذا ثلاث سنين – وقيل أربعاً – وقد عانوا من شظف العيش ، والحرمان والفاقة ، ما يدمي القلب ، ويحز في النفس . .

ولك أن تقدر حجم ما عانى المحاصرون من ضيق ، اذا علمنا أن قريشاً قد شددت عليهم الحصار بشكل كامل ، فقطعت عنهم التموين ، وكانت غالباً ما تضاعف أثمان البضائع ، ليعجز بنو هاشم عن شرائها ، بشكل أدى بهم الى المجاعة الحقيقية ، حتى أن صراخ أطفالهم وتضورهم جوعاً كان يسمع من بعيد . . .

وبعد أن تصرمت السنون الثلاث ، بعسرها وآلامها وفاقتها ، أخبر رسول الله (ص) عمه أبا طالب أن صحيفة المقاطعة التي كتبتها قريش قد أتت دودة الأرضة على ما فيها من ظلم وقطيعة فأكلتها ، إلاّ عبارة « باسمك اللهم » ، فأسرع أبو طالب الى قريش ، قائلا :

« . . . إن ابن أخي أخبرني أن الله قد سلط على صحيفتكم الارضة فأكلتها ، غير اسم الله ، فان كان صادقاً نزعتم عنه سوء

رأيكم ، وان كان كاذباً دفعته اليكم . . »[٢٦] .

قالوا : قد أنصفتنا . . ثم فتحوها ، فإذا هي كما قال . . ووقع نزاع حاسم بين قريش ، نتج عنه تمزيق الصحيفة ، وانتهاء المقاطعة ، ورفع الحصار عن بني هاشم ، وقد كان لافشال مشروع الحصار بذلك الشكل الاعجازي الجلي أثره في كسب الدعوة للمؤيدين ، والأنصار في مكة . . .

أرأيت كم من التضحيات في سبيل رسالة الله ، بذل بيت على (ع) ؟

فإذا كان علي أول من لبى صوت الحق ، وظل مجاهداً في الصف الأمامي من الجبهة الاسلامية طوال حياته ، فان أباه قد ضحى حتى بمكانته الاجتماعية ، التي كان يحظى بها من لدن قريش ، وذاق المحن من أجل رسالة الله تعالى ، حتى كان بحق الدرع الواقي للرسول (ص) ، والدعوة ، في حين كانت المكانة

٢٦- بحار الأنوار ج ١٩ باب دخول الشعب ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣ ، ١٩٢ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٩-٤٠٤ ؛ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥١ ؛ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ؛ السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٧-٣٦٧ ؛ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٦ . . نقلا عن الغدير ج ٧ ص ٣٦٣-٣٦٦ .

الاجتماعية : حلم الرجال ، ومبتغاهم في ذلك المجتمع القبلي . . .

وهكذا كان جعفر بن أبي طالب ، أخو عليّ (ع) الذي دشن حياته الاسلامية بقيادة موكب الهجرة الأولى الى الحبشة . . وتوّجها بالشهادة في غزوة مؤتة . . ففاز بلقب الطيار مع الملائكة في الجنة كما أخبر رسول الله (ص) بذلك . . .[٢٧] .

ولعظيم حب رسول الله – ص – لجعفر ، أنه حين قدم المدينة المنورة من الحبشة ، وذلك يوم فتح خيبر ، استقبله الرسول – ص – وقبل ما بين عينيه ، وهو يقول – ص – : « . . ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً : بقدوم جعفر ؟ أم بفتح خيبر ؟ »[٢٨] .

الى دار الاسلام

. . . وفي خضم الصراع العنيف ، الناشب بين الدعوة الإلهية

٢٧– بحار الأنوار ج ٢١ باب غزوة مؤتة ، ابن سعد في طبقاته ج ٤ ص ٢٣ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ ؛ ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٧ ؛ البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٦ ، الاستيعاب ج ١ ص ٨١ . نقلا عن مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني باب ذكر مقتل جعفر بن أبي طالب ص ١٠ وما بعدها ط ٢ /١٩٧٠ .

٢٨– المصدر السابق .

المباركة ، والجاهلية الرعناء ، فجع الإسلام بفقد مؤمن قريش : أبي طالب – رض – فاهتز رسول الله – ص – للحادث الأليم ، وعلم أن قريشاً ستعمل على تصعيد حملتها على الدعوة ، وعلى شخصه الكريم بالذات . . .

واذا كانت قريش تخشى أبا طالب ، ومركزه الاجتماعي ، فيما مضى ، فقد صفا لها الجو بعد موته ، وها هو رسول الله – ص – يفقد سنده الشامخ ، ويصاب بعده بفاجعة أخرى ، لا تقل في تأثيرها عليه عن الأولى ، فقد توفيت زوجته الوفية خديجة ، حتى دعا العام الذي فقدهما فيه « عام الحزن » .

وللأهمية البالغة ، التي يحتلها أبو طالب ، في سير الحركة التاريخية لدعوة الله تعالى ، صرح رسول الله – ص – بقوله :

« ما زالت قريش كاعةً عني حتى مات أبو طالب »[٢٩] .

وصعدت قريش حملتها على رسول الله – ص – والسابقين من المؤمنين ، فاتجه رسول الله – ص – للبحث عن أرض غير مكة ، تستقر عليها دعوة الله ، فتنمو عليها شجرة الهدى ، وراح

---

٢٩ تأريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٢ : تأريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٤ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢ ؛ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢ : « نقلا عن الغدير ج ٧ ص ٣٧٦ » ؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة ج ١ ص ١٦ . . وغيرها .

يتصل بالقبائل ، ويعرض أمره على الناس فى أطراف مكة . . . ثم زار الطائف ، واتصل بزعماء قبائلها ، فلم يستجب له أحد ذو أثر اجتماعي ، بيد أن اليأس لم يتسرب إلى نفسه ، واستمر في عرض نفسه على الناس من خارج مكة ، حتى التقى في موسم الحج بنفر من أهل يثرب ، وفاتحهم بأمر الدعوة ، فاستجابوا له ، ولبوا دعوة الله ، وعادوا يحملون كلمة الله الى قومهم

وفي اليوم التالى قدم منهم اثنا عشر رجلاً ، فبايعوه على الايمان وحمل الرسالة . . فأرسل لتعليمهم احكام دين الله تعالى : مصعب ابن عمير ، فمكث فيهم سنة كاملة ، يدعوهم الى الله ، ويؤدبهم بتعاليم رسالته ، ويقرئهم القرآن الكريم ، فدخل الكثير من الناس في الاسلام ، واستجابوا لنداء الدعوة المباركة . .

وفيّ موسم الحج حضر منهم الى مكة وفد كبير يقوده مصعب بن عمير ، فالتقوا برسول الله – ص – ، وبايعوه على النصرة إن هو هاجر إلى بلدهم . . .

وتنزل أمر الله تعالى يدعو المسلمين الى الهجرة ، فزحفت مواكب المهاجرين صوب الدار الجديدة ، مخلفين وراءهم المال والوطن وعلائق الدم والقربى . .

ولئن كانت الدعوة قد أوشكت على الدخول في مرحلة جديدة

من مراحل مسيرتها العتيدة ، فان قريشاً ، قد اجتمعت في دار الندوة للتشاور بشأن رسول الله – ص – بالذات ، فتوصل قادتها الى قرار يقضي باغتيال جماعي لرسول الله – ص – يتولاه من كل قبيلة رجل منها وأن ينفذ الاغتيال ليلاً . . .

وكشف جبريل – ع – لرسول الله – ص – أوراق الجريمة التي أجمعت قريش على اقترافها

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

(الانفال /٣٠)

في فراش رسول الله – ص –

وأبلغ جبريل – ع – رسول الله – ص – بأمر الله تعالى بالهجرة الى المدينة المنورة . . . وحين انتشر الظلام ، أسرع المتآمرون لتطويق بيت الرسول – ص – للحيلولة دون خروجه . . وعندها جاء دور علي – ع – حيث أمره رسول الله – ص – أن ينام على فراشه ، ويلتحف ببردته ، وخرج صلى الله عليه وآله من بينهم وهو يتلو قوله تعالى

(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَيُبْصِرُونَ)

(يس /٩)

فلم يشاهده أحد من المشركين .

وعند طلوع الفجر اقتحم المتآمرون دار رسول الله – ص – لتنفيذ جريمتهم واتجهوا لغرفته ، فوثب علي – ع – في وجوههم قائلاً : ما شأنكم ؟

قالوا : أين محمد ؟

قال : « أجعلتموني عليه رقيباً ؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم . . »[٣٠].

فانقلبوا خاسرين وباؤوا بالفشل الذريع . . ثم بدا لهم أن يبحثوا عن الرسول – ص – ويجدوا فى طلبه فى الجبال والوديان ، واصطحبوا لذلك أبا كرز ، وهو رجل شهير بعلم معرفة الأثر ، وبالفعل استطاع أبو كرز أن يتابع أثر الرسول – ص – حتى أوصل القوم الى غار جبل « ثور » مؤكداً لهم أن محمداً – ص – قد وصل فى نهاية شوطه الى ذلك الغار ، وإذن فلا بد أن يكون

---

٣٠ – تفسير سورة الأنفال آية ٣٠ يراجع الميزان ج ٩ بحث روائي ص ٨٠

قد عرج الى السماء أو اختفى تحت الأرض[٣١] ، وحيث أن الله سبحانه قد بعث عنكبوتاً فنسجت بيتاً لها على باب الغار ، فإن المتآمرين لم يخطر ببالهم أن الرسول – ص – في داخل الغار الذي يقفون على بابه ، وهكذا صرف الله عقولهم فولوا الأدبار . .

وعند حلول الليلة الثانية أسرع علي – ع – وهند بن أبي هالة الى الغار للاتصال بالرسول – ص – تحت جنح الظلام[٣٢] وتحاور رسول الله – ص – مع علي – ع – حول مستلزمات الهجرة . . فأوصاه بأداء الأمانات الى أهلها ، وباللحوق به – ص – بعد ذلك وأوصاه أن يحمل معه فاطمة الزهراء – ع – ومن معها من نساء أهل البيت . .

الانتظار في قبا : –

وبعد أيام من مسيرة الركب وصل الرسول – ص – الى « قبا » حيث نزل عند كلثوم بن الهدم أحد زعماء بنى عمرو بن عوف[٣٣] وهناك أقام الرسول – ص – مسجد قبا ، ومكث ينتظر

---

٣١ – نفس المرجع السابق والصفحة نفسها

٣٢ – أعيان الشيعة ج ٣ ط / ٣ ص ١٥٥

٣٣ – بحار الأنوار ج ٩ والروضة من الكافى ج ٨ ص ٣٣٩ ، للكليني ط / طهران .

قدوم علي بن أبي طالب – ع –[٣٤] إذ كتب إليه كتاباً يأمره بالمسير إليه ، وقد حمل الكتاب أبو واقد الليثي ، وحيث أن علياً – ع – قد أدى ما أوصاه به رسول الله – ص – قبل هجرته وأعاد الأمانات التي كانت لدى الرسول – ص – الى أهلها ، فقد عجل باللحوق بأخيه رسول الله – ص – فبادر إلى اعداد ركائب لحمل النساء : فاطمة بنت رسول الله ، وفاطمة بنت أسد ، وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب .

ثم أمر ضعاف المؤمنين أن يتسللوا ليلاً الى ذي طوى وخرج هو والفواطم وأيمن وأبو واقد الليثي نهاراً[٣٥] .

ولم تمض غير أيام قليلة حتى وصل ركب علي والفواطم الى قبا ، فاستقبلهم رسول الله – ص – وعانق عليا – ع – وبكى رحمة به – وذلك لما ألم به من ارهاق وأذى – .

وبعد مقدم علي – ع – على رسول الله – ص – بيومين ارتحل الرسول – ص – وبصحبته علي – ع – ومن معه من المهاجرين الى المدينة المنورة . . .

---

٣٤ – الفصول المهمة في معرفة الأئمة / ابن الصباغ المالكي « فصل في شيء من شجاعته ص ٢٨ » .

٣٥ – أعيان الشيعة ج ٣ ط / ٣ ص ١٥٥ « هجرته الى المدينة » .

وكان الركب النبوي يستقبل استقبالاً مهيباً عند كل حي يمر به . . حتى اذا وصل الرسول – ص – الى المكان الذي أقيم مسجده فيه توقفت راحلته عن المسير فنزل عنها ، وأقام ضيفاً عند أبي أيوب الأنصاري (ره) . . . ثم بادر الى بناء المسجد والدور الخاصة به وبأهل بيته ، وفي طليعتهم علي – ع – اذ أقيمت حجرته بجنب حجرة عائشة [٣٦].

٣٦– المرجع السابق

مهمات ما بعد الهجرة

استقبلت المدينة عهداً جديداً من تاريخها بوصول رسول الله – ص – اليها حيث أرسى – ص – قواعد دولة القرآن ، وعمل على تحصينها لتكون مناراً يشع نور الحق الى الآفاق فيبدد ظلام الجاهلية الحالك . . .

واذا كانت الدعوة بعد الهجرة قد امتلكت دولة ، وفرت لها الكثير من شروط الحماية والتحصين ، فان ذلك لا يعني بحال أن مكر الأعداء وخططهم لاطفاء نور الإسلام قد انتهى بل العكس هو الذي كان ، فالجاهلية بقواها المتعددة وواجهاتها الكثيرة قد أجمعت على حرب الإسلام ودولة الإسلام ، وقد دخلت فصائل كثيرة الى الميدان لغير صالح الإسلام ، بعد أن أدركت عملياً أن وجودها في خطر بعد امتلاك الإسلام الدولة التي ترعاه ويحقق

اهدافه من خلالها . .

وهكذا كانت مرحلة ما بعد الهجرة قد وضعت المسلمين أمام مسؤوليات أشمل ميداناً وأبعد خطراً ، حيث بناء الدولة وحمايتها وبناء المجتمع وترصينه ، وصد الأعداء ونشر العقيدة وغير ذلك . .

والصراع بطبيعته قد تحول بدوره من صراع أفراد أو ارهاب قبائل ، وأصحاب وجاهات لأفراد عزل لا يملكون غير دينهم وثقتهم بالله تعالى . . الى صراع عسكري منظم بين قوى جمعتها المصالح والأهواء ولو آنياً لحرب الاسلام العظيم باعتباره – وبتقديرهم – الخطر الماحق لوجودهم الفكري والعملي . . . وقد تفجر الصراع العسكري بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلاً .

وحسبك أن دولة القرآن قد شهدت عبر عشر سنوات عاشها الرسول – ص – بعد هجرته الى المدينة عشراتٍ من الأعمال العسكرية بين حروب دفاعية أو هجومية أو غزوات أو سرايا أو غيرها . . قدم المسلمون خلالها الكثير من الضحايا ولاقوا صنوفاً من البلاء بيد أنهم أنهوا الوجود العملي للجاهلية العربية . . فشملت دولة الإسلام الجزيرة العربية دون منازع . . .

واذا تتبعنا تلك المرحلة الدقيقة من عمر الرسالة الخاتمة لوجدنا أن دور علي بن أبي طالب – ع – فيها لم يرق إليه دور قط . .

. . فهو في جميع حروب الإسلام مع أعدائه كان يفوز بقصب السبق لا من باب اشتراكه في الحرب أو قتاله فيها ، وإنما بما يقدمه من بطولة وتضحية يسبق بها سواه ، ومن المناسب هنا أن نذكر طرفاً من بطولته – ع – :

بأس في الحرب :

١ – في معركة بدر :

كان عدد المسلمين يساوي ثلث جيش عدوهم وكانت العدة لدى المسلمين ليست ذات بال فعلى سبيل المثال كانوا لقلة ركائبهم يركب منهم الاثنان والثلاثة والأربعة على بعير واحد ، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندي ، وكانت أسلحة بعضهم من جريد النخل ونحوه . .

حتى إذا اضطرمت نار الفتنة تقدم علي – ع – وكان يحمل لواء الرسول – ص – [٣٧] فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة ، كان المسلمون خلالها يستغيثون ربهم طلباً للنصر فاستجاب لهم

٣٧– أحمد بن يحيى البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩١ و ٩٤ ط /١ سنة ١٩٧٤ بيروت / ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١١١/ وابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٥ .

وأمدهم بالملائكة ، وقد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلاً من المشركين كان مقتل حوالي نصف عددهم بسيف علي[٣٨] .

٢ – وفي معركة أحد :

كان رسول الله – ص – قد أعطى لواء المهاجرين لعلي – ع – ولما اشتبك الطرفان كان النصر ابتداء للمسلمين ، بيد أن حماة جبل أحد الذين أمرهم الرسول – ص – بعدم مفارقته تركوا أماكنهم بعد فرار المشركين بدافع الطمع في الغنائم ، فصعدت احدى فرق المشركين بقيادة خالد بن الوليد الجبل فتغير الموقف لصالح المشركين فخسر المسلمون الكثير من الشهداء . . وأصيب الرسول – ص – بجروح في وجهه الكريم وكسرت رباعيته وحيث لم يبقَ مع رسول الله – ص – في ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير علي – ع – وأبي دجانة وسهل بن حنيف ، استبسل علي – ع – كعادته في الدفاع عن رسول الله – ص – ومجد الرسالة الإلهية ، وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد الآخر ، وكانوا تسعة رجال ثمانية من بني عبد الدار وتاسعهم عبدهم[٣٩] . مما أربك العدو واضطره للفرار .

٣٨– حياة أمير المؤمنين / محمد صادق الصدر ط / ٢ سنة ١٩٧٢ ص ٢٣٠

٣٩– تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٧ / وأحمد بن حنبل في الفضائل / وابن هشام

٣ – وفي غزوة الأحزاب :

طوقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين [٤٠] بشتى فصائلهم ، ونقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله – ص – وانضموا الى صفوف الغزاة ، فتغير ميزان القوى لصالح العدو ، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أيما مبلغ ، فقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزلت نفوس وظنت نفوس بالله الظنونا – كما حدثنا القرآن * – .

وبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ود العامري أحد أبطال الشرك الخندق مع بعض رجاله ، فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم . . وراح بن عبد ود يصول ويجول ، ويتوعد المسلمين ويتفاخر عليهم ببطولته ، ويستعلي وينادي :

هل من مبارز ؟

في السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٢ ودلائل الصدق / الشيخ محمد حسن الظفر ج ٢ ص ٣٥٧ ط قم . وحياة أمير المؤمنين / السيد الصدر ص ٢٣٦ وما بعدها والارشاد للمفيد ص ٥٢ .

٤٠– للتفاصيل راجع الحلقة الثانية من محمد رسول الله / الدولة / منشورات دار التوحيد .

*– تراجع سورة الأحزاب ١٠

فقام علي – ع – وقال : أنا له يا رسول الله

قال رسول الله – ص – : اجلس انه عمرو !

وكرر ابن عبد ود النداء وجعل يوبخ المسلمين ، ويسخر بهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون ، أن من قتل منكم يدخلها ، أفلا تبرزون لي رجلاً ؟

ولما لم يجبه أحد من المسلمين ، كرر علي – ع – طلبه : أنا له يا رسول الله

فقال – ص – اجلس إنه عمرو !

فأبدى علي عدم اكتراثه بعمرو وغيره ، قائلاً : وإن كان عمرواً ! !

فأذن رسول الله – لعلي – ع – ، واعطاه سيفه ذا الفقار ، وألبسه درعه ، وعممه بعمامته . .

ثم قال – ص – « اللهم هذا أخي وابن عمي ، فلا تذرني فرداً ، وأنت خير الوارثين »[٤١] .

ومضى علي – ع – الى الميدان ، وخاطب ابن عبد ودّ بقوله : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله ، أن لا يدعوك رجل من قريش

---

٤١ – السيرة النبوية / أحمد زيني دحلان جـ ٢ ص ٦ و ٧ « غزوة الخندق » .

إلى إحدى خلتين إلاَّ قبلتها . .

قال عمرو : أجل

فقال علي – ع – فإني أدعوك الى الله والى رسوله – ص – والى الإسلام .

فقال : لا حاجة لي بذلك

قال له الإمام : فإني أدعوك الى البراز .

فقال عمرو : إني أكره أن أهريق دمك ، وان أباك كان صديقاً لي . .

فرد عليه الإمام – ع – قائلاً : لكني والله أحب أن أقتلك ، فغضب عمرو ، وبدأ الهجوم على علي – ع – فصده الامام برباطة جأشه المعتاد ، وارداه قتيلاً ، فعلا التكبير ، والتهليل في صفوف المسلمين[٤٢] . .

ولما عاد الإمام – ع – ظافراً استقبله رسول الله – ص – وهو يقول : « لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ ، أفضل من عمل أمتي الى يوم القيامة »[٤٣] .

٤٢– المصدر السابق .

٤٣ – مستدرك الصحيحين ٣ ص ٣٢ عن سفيان الثوري ورواه الخطيب البغدادي

وبعد مقتل ابن عبد ودّ بادر علي – ع – الى سد الثغرة التي عبر منها عمرو ورجاله الخندق ورابط عندها[٤٤] مزمعاً القضاء على كل من تسول له نفسه العبور ، ولولا ذلك الموقف البطولي لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين ، بذلك العدد الهائل

وهكذا كانت بطولة علي – ع – في غزوة الأحزاب أهم عناصر النصر للمعسكر الاسلامي ، وانهزام المشركين .

٤ – وفي غزوة خيبر : –

عجز علية القوم عن الصمود أمام اليهود ، ولما بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياماً قال رسول الله – ص – « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كراراً غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه . . »[٤٥] .

في تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩ : نقلاً عن فضائل الخمسة ج ١ .

٤٤ – السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ ، غزوة الخندق ، ا وارشاد المفيد ص ٥٨ .

٤٥ – أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٣ و ٩٤ عن أبي هريرة وابن عباس بلفظ متشابه / وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩ وما بعدها ط /١ ١٩٧٥ بيروت وفي الاصابة والاستيعاب وحلية الأولياء ومسلم في الصحيح بألفاظ متقاربة

ولما كان العد أعطاها علياً فاقتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوة ، وقتل بطلهم مرحباً ثم فتح الحصون جميعاً . .

٥ – وفي غزوة حنين : –

فرَّ المسلمون فلم يبق مع رسول الله – ص – غير علي – ع –[٤٦] والعباس وبعض أهل البيت – ع – فكان النصر بعد عودة المسلمين لميدان القتال . . وكان الظفر . .

هذه صور يسيرة من مواقف الصمود التي سجلها الامام علي – ع – بين يدي رسول الله – ص – القائد في أدق الساعات وأكثرها حرجاً[٤٧]

ومن نافلة القول أن نعيد الى الأذهان أن علياً – ع – قد اشترك في جروب رسول الله جميعاً غير تبوك[٤٨] وذلك بأمر من

٤٦– سيرة الرسول للسيد محسن الأمين نقلاً عن السيرة الحلبية وابن قتيبة في المعارف ، وتفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ١٠ تفسير آية ٢٥ من التوبة والبحث الروائي / والارشاد للمفيد « غزوة حنين » ص ٨١ .

٤٧– للاستزادة يراجع كتاب الامام علي / عبد الفتاح عبد المقصود وأعيان الشيعة المجلد الثالث / للسيد محسن الأمين والارشاد للشيخ المفيد وسيرة ابن هشام والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي .

٤٨– راجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٢ ط ١ ١٩٧٤ (ومستدرك

الرسول – ص – بذاته ، وكان له في جميعها القدح المعلى ، هذا عدا الغزوات التي قادها بنفسه عليه السلام .

والباحث المنصف حين يتناول حياة الامام علي – ع – بالدراسة وفي شطرها الجهادي بالذات يقف مذهولاً أمام بطولته الفريدة وتضحياته المعطاءة ، لكن البطولة بما هي بطولة ليست هي الميزة في جهاد علي – ع – وان كان ميدانها الواسع وشمولها يبقى سمة من سمات علي ولكن الأهم فيها إنما هو الإخلاص لله تعالى والتضحية في سبيله .

فإيمان علي – ع – بالله تعالى يبقى هو الحافز والمحرك لتلك البطولات العظيمة التي سجلها تاريخ الاسلام في أنصع صفحاته بشكل لم يسجل مثلها لسواه .

وحسبك في ذلك أن كثيراً من المواقف العسكرية – كما رأينا – يتعرض فيها علية القوم فضلاً عن عامتهم للوهن بل والهزيمة النكراء غير أن التاريخ لم يسجل لعلي – ع – إلا الصمود والفداء والتضحية في كل موقف ؛ صمد الناس فيه أم انهزموا ، الأمر

الصحيحين ج ٣ ص ١١١ وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٠ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٧٥) نقلاً عن فضائل الخمسة لمعرفة المزيد من المصادر ج ٢ ص ٣٠٩ .

الذي لا يفسره إلا ما يتمتع به علي – ع – من صدق اليقين وعمق الاستعانة والتوكل على الله والعبودية له واللامبالاة بما سواه كبر ذلك أم صغر . هذا عدا ما يتمتع به علي – ع – من علو الهمة وقوة العزيمة ورباطة الجأش وسمو النفس .

علي في منظار الإسلام

لم يحظ رجل في الإسلام ما حظي به علي بن أبي طالب – ع – من ثناء واجلال من لدن الرسالة الإسلامية ، وحثها المتزايد لاتباعها لا على تقديره فحسب ، وإنما على التزامه ، وانتهاج سبيله .

وقد انطوى القرآن الكريم والسنة الشريفة والتاريخ الصحيح على نصوص وروايات تنطق كلها بالثناء على علي – ع – .

فمرة تأتي كأوسمة يضعها الإسلام على صدره فيميزه.

ومرة على شكل أحكام واوامر تلزم المسلمين على التزام علي – ع – إماماً ومنهجاً .

فمن أوسمة التقدير التي نالها علي – ع – من الله تعالى ومن رسوله – ص – نذكر منها ما يلي : –

١ - « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

الأحزاب -٣٣ .

ذهب المفسرون لهذه الآية أنها نزلت في رسول الله - ص - وعلي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين - ع - حين دعا الرسول - ص - بعباءة وجللهم بها ، ولما نزلت الآية قالت أم سلمة زوجة الرسول - ص - : هل أنا من أهل بيتك ؟

قال : لا ولكنك على خير [٤٩] » .

٢ - (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)

(آل عمران /٦١)

٤٩- راجع صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، والحاكم في مستدرك الصحيحين جـ ٣ ص ١٤٧ والبيهقي في سننه جـ ٢ ص ١٤٩ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية ، وصحيح الترمذي جـ ٢ ص ٢٠٩ وابن حجر في تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٢٩٧ وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة جـ ١ ص ٢٢٤ وما بعدها .

ذكر أهل التفسير من جميع المسلمين أنها نزلت حين خرج رسول الله – ص – بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لمباهلة نصارى نجران ، فلما رآه النصارى قد خرج بأهلِ بيته خافوا العاقبة واعتذروا عن مباهلته ، فدفعوا الجزية خضوعاً منهم لسلطان دولته – ص –[٥٠]

٣ – (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً وَ يَتيماً وَاَسيراً* إِنَّما نُطْعِمكُمْ لِوَجهِ اللهِ لاَنُريدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَشُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَريراً * فَوَقيهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ اليَوْمِ وَلَقّيهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً)

(الدهر /٨ ــ ١١)

وهذه باجماع أهل التفسير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين – ع – .

وكان ذلك عندما مرض الحسنان فنذر علي – ع – وفاطمة

٥٠– صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٠ وأحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٨٥ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير آية المباهلة والزمخشري في كشافه والفخر الرازي في تفسيره الكبير وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ص ٢٤٤ وما بعدها .

وفضـة إن شفي الحسنان ، فأن عليـاً والزهراء وفضـة يصومون لله تعالى ثلاثة أيام .

وبعد شفاء الحسنين صام أهل البيت – ع – . .

وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكين يشكو جوعه ، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير .

وفي اليوم الثاني استطعمهم يتيم فأطعموه . . .

وفي ثالث أيام النذر سألهم أسير فقدموا له طعامهم وهكذا بقي أهل البيت – ع – ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها غير الماء ، فأنزل الله فيهم هذه الآيات الكريمة اعظاماً لشأنهم واكباراً لعملهم[٥١] ليكونوا القدوة وليكونوا المثال .

٤ – (اَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَـرَامِ كَـمَنْ امَـنَ بـاللهِ وَاليَوْمِ الأخِرِ وَجَاهَـدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَيَسْتَوُنَ عِنْدَاللهِ وَاللهُ لاَيَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ)

(التوبه /١٩)

---

٥١ – يراجع الزمخشري في كشافه ج ٢ / والواحدي في أسباب النزول / ومجمع البيان للطبرسي في تفسير سورة الدهر / والحافظ محمد بن جرير الطبري كما في الكفاية / وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٣ ص ٤٢ –٤٧/ والحاكم النيسابوري ذكره في مناقب فاطمة – ع – كما في الكفاية / وأبو اسحاق

نزلت هذه الآية عندما تفاخر طلحة بن شيبة والعباس بن عبد المطلب ؛ إذ قال طلحة : أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي !

وقال العباس : أنا أولى ، أنا صاحب السقاية والقائم عليها

وفي هذه الأثناء مرَّ عليٌّ بهما وسألهما : بم يفتخران . فذكرا له ما قالا .

فقال علي – ع – : أنا أوتيت منذ صغري ما لم تؤتيا .

فقالا وما ذاك ؟

فقال – ع – : لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى الآية المذكورة في الثناء على ما افتخر به علي – ع – [٥٢]

التعلبي في تفسيره « الكشف والبيان » / والألوسي في روح المعاني / والطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧ / نقلا عن الغدير للشيخ الأميني ج ٣ ص ١٠٧–١١١ .

٥٢– تفسير الطبري عن أنس ج ١٠ ص ٥٩ / وأسباب النزول للواحدي ص ١٨٢ / والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ / والرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٢٢/ والخازن في تفسيره ج ٢ ص ٢٢١/ وأبو البركات النسفي ج ٢ ص ٢٢١/ والدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢١٨ / وغيرهم مع اختلاف في التفاصيل والألفاظ .

واذا كان القرآن الكريم يثني هذا الثناء الجميل على علي – ع – فتعال معي الى السنة الشريفة لنقرأ شيئاً منها في هذا الصدد :

١ – قال رسول الله – ص – : أنا مدينة العلم وعلي بابها [٥٣].

٢ – وقال – ص – : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » [٥٤].

٣ – وقال – ص – : مخاطباً علياً – ع – « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » [٥٥]

٤ – وقال – ص – يوم المواخاة – بين المهاجرين والأنصار مخاطباً علياً – ع – : أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل أنا عبدالله وأخو رسوله لا يدعيهما بعدك إلا

---

٥٣ مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦ / ومناقب أحمد بن حنبل وأبو عيسى الترمذي في جامعه الصحيح / وكنز العمال ج ٦ ص ٤٠١ / وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ / والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٤ ص ٣٤٨ : نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠ ومابعدها .

٥٤ – مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٤ / ومسند أبي داود ج ٢ ص ٢٨ والبخاري في باب غزوة تبوك ومسلم والترمذي وغير هؤلاء نقلاً عن المراجعات ص ١٣٣ – ص ١٣٦ .

٥٥ – صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩ / وأحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٩٢ / والنسائي ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩ وغيرهم راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٠٧ وغيره .

كذاب »[٥٦]

هذه طائفة من النصوص الخاصة بالثناء على علي – ع – ومن شاء المزيد فليراجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة وينابيع المودة ومسند أحمد بن حنبل وفضائل أمير المؤمنين وامامته من دلائل الصدق وغيرها .

أما النصوص القاضية بوجوب التزام علي – ع – إماماً وقائداً في دنيا المسلمين فنذكر منها ما يلي : –

من فضائل الامام علي (ع) –

أ – (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) .

(المائدة /٥٥)

قال المفسرون إن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب – ع –[٥٧] فأكدت وجوب الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً

٥٦– صحيح ابن ماجه وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩ / والنسائي في الخصائص ص ٣ و ١٨ ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤ / ومسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٩ وغيرها مع اختلاف في الألفاظ يسير .

٥٧– تفسير البيضاوي / ومجمع البيان للطبرسي / وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره /

واجتماعياً وسياسياً للأمة ، وقد كان سبب نزولها حين تصدق علي – ع – على مسكين بخاتمه أثناء ركوعه ، فالآية إنما نزلت بهذا الصدد وهي تؤكد في ذات الوقت إمامة علي – ع –

ب – خطبة الغدير :

وهي البيان الذي وجهه الرسول – ص – الى المسلمين في غدير خم في آخر حجة له لبيت الله ، فعن البراء بن عازب قال :

« أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في السنة التي حج ، فنزل في بعض الطريق ، فأمر : الصلاة جامعة ، فأخذ بيد علي فقال : « ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » .

قالوا : بلى

قال – ص – : ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟

قالوا : بلى

والطبري في تفسيره ج ٦ ص ١٦٥ / والواحدي في أسباب النزول ص ١٤٨/ والخازن في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦ / والرازي في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١ / وأبو البركات النسفي ج ١ ص ٤٩٦ / والنيسابوري في تفسيره ج ٣ ص ٤٦١ / وابن حجر في الصواعق ص ٢٥ وغيرها نقلاً عن : أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ – ص ١٣٤ وخلفاء الرسول الاثنا عشر ص ١٠٣ وما بعدها .

قال – ص – : « فهذا ولي من أنا مولاه ، اللهم والِ من والاه ، اللهم عاد من عاداه »[٥٨] . وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله – ص – قال « من كنت مولاه فعليٌ مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه »[٥٩] .

ج : قال رسول الله – ص – « علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض »[٦٠]

وفي حديث آخر لرسول الله – ص – يخاطب به عمار بن ياسر (ره) جاء فيه « . . وان سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادياً سلكه علي وخلِّ الناس طراً . . »[٦١] .

د – وقال – ص – :

---

٥٨ – اللفظ لصحيح ابن ماجه ص ١٢ .

٥٩ – مسند ابن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ ، فقد نص عليه قائلاً رواه ثلاثون صحابيا ، وأخرجه أيضاً النسائي في خصائص علي بن أبي طالب بعدة طرق والترمذي والطبراني / عن زيد بن أرقم والفخر الرازي في تفسير آية « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك » وكنز العمال ج ١ ص ٤٨ / ومستدرك الصحيحين وسواهم . نقلاً عن كتاب الغدير تأليف العلامة الأميني – ره – ج ١ .

٦٠ – تاريخ البغدادي ج ١٤ ص ٣٢١ / والهيثمي في مجمعه ج ٧ ص ٢٣٥/ وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ / وتفسير الرازي ج ١ ص ١١١/ وغيرهم مع اختلاف في الألفاظ . نقلاً عن علي والوصية ص ١١٣ .

« لكل نبي وصي ووارث وأن علياً وصيي ووارثي »[٦٢].

هذا غيض من فيض من النصوص الإسلامية الموثوقة المجمع على صحتها ، ووثاقتها من جميع المسلمين[٦٣]

٦١- تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٨٦ / والهيثمي في مجمعه ج ٧ ص ٢٣٦ وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ مع اختلاف يسير في الألفاظ .

٦٢- ينابيع المودة سليمان الحنفي « باب عهد النبي لعلي وجعله وصياً » ، والذهبي في ميزان الاعتدال والسيوطي في اللئالئ والديلمي في كنوز الدقائق ومناقب أحمد بن حنبل وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ والمعجم الكبير للطبراني والمحب الطبري في الذخائر وغيرهم نقلاً عن علي والوصية لنجم الدين العسكري ص ١٩٤ .

٦٣- ومن شاء المزيد فليراجع ينابيع المودة / للشيخ القندوزي الحنفي والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي وفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزابادي ومسند أحمد بن حنبل وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وعلي والوصية للشيخ نجم الدين العسكري وغيرها .

علي في عهد الخلفاء

. . . فاضت نفس رسول الله – ص – في حجر علي – ع – [٦٤] ورحل – ص – الى ربه الأعلى ، وهو قلق على مستقبل الرسالة والأمة ، كما يجسد ذلك بقوة قوله – ص – عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بداية مرضه الذي قضى فيه « السلام عليكم يا أهل القبور ، ليهنئكم ما أصبحتم فيه ، مما فيه الناس ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها . . » . [٦٥]

وتأكيده المستمر على ضرورة التزام الثقلين : كتاب الله تعالى

---

٦٤ – مناقب الخوارزمي عن عائشة ومسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠/ وذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٧٣ وغيرها يراجع علي والوصية ص ٢٠٦– ٢١١ .

٦٥ – أخرجة النسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده .

والعترة الطاهرة[٦٦]

وطلبه في آخر ساعة من حياته أن يؤتى بدواة وكتف ليكتب للأمة كتاباً لن تضل بعده أبداً[٦٧].

الى غير ذلك من مصاديق توجسه وقلقه – ص – على مستقبل المسيرة الإسلامية ، بالرغم من احتياطه لتحصين الأمة وتجنيبها من الوقوع في الفتنة .

وما أن فاضت نفس رسول الله – ص – واشتغل علي – ع – وأهل البيت بتجهيزه من أجل مواراة جسده الطاهر في مثواه الأخير ، حتى عقدت الأنصار وبعض المهاجرين اجتماعاً في سقيفة بني ساعدة لتنصيب من يخلف النبي – ص – في قيادة المسلمين .

وبعد مناقشات حادة وطويلة سادها جو من التوتر والقلق والعنف والخلاف بادر عمر بن الخطاب الى بيعة أبي بكر

٦٦– أخرجه الترمذي برقم ٨٧٤ من أحاديث كنز العمال ج ١ ص ٤٤ ومسند ابن حنبل ج ٥ ص ١٨٢ و ص ١٨٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٨ وغيرها .

٦٧– أخرجه البخارى ج ١ كتاب العلم ص ٢١ ومسلم في آخر الوصايا من صحيحه ج ٣ ص ٢٥٩ / وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ وغيرهم .

بالخلافة[٦٨] وطلب من الحاضرين ذلك ، ولم يكن علي – ع – على علم بما حدث ، ولكن النبأ قد انساب الى مسامعه من خلال الضجيج الذى أحدثه خروج القوم من السقيفة ، وهم في طريق توجههم للمسجد النبوي

وحتى تلك الساعة ما زال علي وأهل البيت – ع – مشغولين بتجهيز فقيد الأمة العظيم رسول الله – ص – إذ ظل – ص – جثمانه الطاهر ثلاثة أيام[٦٩] دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاة عليه .

ولعدم قناعة الإمام – ع – بما جرى ظل مؤمناً بحقه في الخلافة واعتزل الناس ، وما هم فيه ستة شهور ، ولم يسمع له صوت في ما يسمى بحروب الردة ولا سواها[٧٠].

ولقد استجدت أمور وأحداث خطيرة تتهدد الإسلام وأمته بالفناء ، فقد قوي أمر المتنبئين بعد وفاة وسول الله – ص – واشتد

---

٦٨ – راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٤ وتراجع السقيفة / للشيخ محمد رضا المظفر ونظام الحكم والادارة في الاسلام / لمحمد مهدي شمس الدين للتفاصيل .

٦٩– تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧١/ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٢ ، نقلاً عن الغدير ج ٧ ص ٧٥ .

٧٠– السقيفة ص ١٦٠ ط ١٩٧٣/٤ بيروت .

خطرهم في الجزيرة العربية من أمثال : مسيلمة الكذاب ، وطلحة ابن خويلد الأفاك وسجاح بنت الحرث الدجالة وغيرهم وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الإسلامية .

واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم في داخل المدينة وكان الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد[٧١] .

هذا عدا ظهور التكتلات السياسية في المجتمع الإسلامي على أثر بيعة السقيفة .

ولقد تعامل الإمام – ع – مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية حفظاً للإسلام وحماية للجامعة الإسلامية من التمزق والضياع ، وتحقيقا للمصالح العليا الإسلامية التي جاهد من أجلها .

وللإمام علي – ع – كتاب جاء فيه – بهذا الصدد – ما نصه « . . . فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ماكان ، كما يزول السراب أو كما ينقشع

٧١– المراجعات / للحجة السيد شرف الدين ص ٣٠٢ .

السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه »[٧٢].

بيد أن صوت علي – ع – كان يعلو عندما يستشار ويجهر عندما يستفتى ، وقد تصدى – في هذا المضمار – لتوجيه الحياة الإسلامية ، وفقا لما تقتضيه رسالة الله تعالى في الحقول التشريعية والتنفيذية والقضائية .

ومن أجل ذلك فأن الباحث التاريخي في حياة الامام – ع – لا يلبث إلا أن يلتقي مع مئات المواقف والأحداث – في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان – التي لا تجد غير علي – ع – مدبراً لها ومعالجاً وقاضياً بأمر الشريعة فيها .

والخلفاء الثلاثة لم يروا بداً من استشارته إذا التبست عليهم الأمور ، وهكذا تجده – مرة – مرشداً الى الحكم الاسلامي الصحيح في أمر ما ومرة تجده قاضياً في شأن من شؤون الأمة ، وأخرى موجهاً للحاكم الوجهة التي تحقق المصلحة الإسلامية العليا .

وبمقدورنا أن نلمس دوره الرسالي ذلك اذا طرحنا بعض

---

٧٢ – من كتاب له الى أهل مصر مع مالك الأشتر حين ولاه امارتها ص ٤٥١ من نهج البلاغة تبويب الدكتور صبحي الصالح ط ١ ١٩٦٧ بيروت .

مفردات منهجه المتبنى أيام الخلفاء الذين سبقوه :

أ – في خلافة أبي بكر : –

١– فكر أبو بكر بغزو الروم فأستشار جماعة من الصحابة فقدموا وأخروا ، ولم يقطعوا برأى ، فأستشار علياً – ع – في الأمر فقال – ع – إن فعلت ظفرت .

فقال أبو بكر : بشرت بخير .

وأمر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد[٧٣] .

٢– أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر . . . .

فقال الرجل : إني شربتها ولا علم لى بتحريمها ، فأرسل إلى الامام يسأله عن ذلك فقال – ع – : مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله (ص) ، فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه ، وإن لم يشهد أحد بذلك ، فاستتبه وخل سبيله » .

٧٣– تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١١ – نقلاً عن علي والخلفاء للعسكري ص ٦٢ .

ففعل الخليفة ذلك ، فعلم صدق الرجل فخلى سبيله[٧٤].

٣- عن محمد المنكدر أن خالد بن الوليد كتب الى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحى العرب ، ينكح كما تنكح المرأة ، وأن أبا بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وكان فيهم علي بن أبي طالب أشدهم يومئذ قولاً ، فقال :

إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة - يعني قوم لوط - فصنع الله بها ما قد علمتم ، أرى أن تحرقوه بالنار . فكتب أبو بكر بذلك الى ابن الوليد[٧٥].

٤- قدم جاثليق النصاري يصحبه مائة من قومه ، فسأل أبا بكر أسئلة ، فدعا علياً - ع - فأجابه عنها ، ونكتفي منها بسؤال واحد من أسئلة الجاثليق : - أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى !

فدعا علي - ع - بنار وحطب ، واضرمه ، فلما اشتعلت قال أين وجه هذه النار ؟ .

قال الجاثليق : هي وجه من جميع خدودها .

٧٤- مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٧٨ وبحار الأنوار ج ٤٠ عن الكافي .

٧٥- كنز العمال ج ٣ ص ٩٩ ، نقلاً عن علي والخلفاء ص ٦٣ .

فقال علي – ع – : هذه النار مدبرة مصنوعة ، لا يعرف وجهها وخالقها لا يشبهها ، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله لا تخفى على ربنا خافية[٧٦].

٥– وأرسل ملك الروم رسولاً الى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ، ولا يخاف الله ، ولا يركع ولا يسجد ويأكل الميتة والدم ، ويشهد بما لم ير ويحب الفتنة ويبغض الحق ، فأخبر بذلك علياً (ع) فقال :

هذا رجل من أولياء الله : لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه ، وانما يخاف من عدله ، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة ، ويأكل الجراد والسمك ، ويأكل الكبد ، ويحب المال والولد « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما ، ويكره الموت وهو حق[٧٧] .

هذه بعض مصاديق اهتماماته بمسيرة الاسلام التاريخية

٧٦– علي والخلفاء ص ٦٠ نقلاً عن التستري / قضاء أمير المؤمنين ص ٦٦ ط /١ سنة ١٣٦٩ هـ النجف الأشرف .

٧٧– مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٨٠ .

في عهد أبي بكر .

ب – في خلافة عمر بن الخطاب :

١– حين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام – ع – في الأمر ، فنصحه الإمام بألاّ يقود الجيش بنفسه مبيناً علة ذلك قائلاً : « . . . فابعث اليهم رجلاً مجربا واحفز معه أهل البلاء والنصيحة ، فإن أظهره الله فذاك ما تحب ، وان تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ، ومثابةً للمسلمين »[٧٨] .

٢– ورد الى بيت مال المسلمين مال كثير – من البحرين – فقسمه عمر بين المسلمين ، ففضل منه شيء ، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً : ما ترون في فضلٍ ، فضلَ عندنا من هذا المال ؟

قالوا : يا أمير المؤمنين إنا شغلناك بولاية أمورنا من أهلك وتجارتك ، وضيعتك ، فهولك .

فالتفت عمر إلى علي قائلاً : ما تقول أنت ؟

٧٨– نهج البلاغة تبويب د . صبحي الصالح ط ١ ص ١٩٢ .
احفز : ادفع وسق ، أهل البلاء : أهل المهارة في الحرب ، مثابة : مرجع .

قال الإمام – ع – : قد أشاروا عليك .

قال الخليفة : فقل أنت ؟

قال – ع – : لمَ تجعل يقينك ظناً ، ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله – ص – .

وأخيراً أشار عليه الإمام – ع – بتوزيعه على الفقراء ، قائلا : « أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضه على فقراء المسلمين »

فقال عمر : صدقت والله [٧٩] .

٣– « عن ابن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول ان نزك هذا المال في جوف الكعبة لآخذه وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل الخير وعلي بن أبي طالب يسمع ما يقول ، فقال عمر : ما تقول يا ابن أبي طالب بالله لئن شجعتني عليه لأفعلنَّ ؟

فقال علي : أتجعله فينا ، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان ! [٨٠] فاقتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلي الكعبة .

٧٩– علي والخلفاء / نجم الدين العسكري ص ٨٣ ، نقلاً عن أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ٩٤ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٩ وغيره .

٨٠ – كنز العمال جـ ٧ ص ١٤٧ وصحيح البخاري ٧٢٧/١٩ وغيره نقلاً عن علي والخلفاء ص ٨٧ .

٤- بعث أبو عبيدة بن الجراح وبرة بن رومان الكلبي الى عمر بن الخطاب : ان الناس قد تتابعوا في شرب الخمر بالشام ، وقد ضربت أربعين ، ولا أراها تغني عنهم شيئاً ، فاستشار عمر الناس . .

فقال علي - ع - : أرى أن تجعلها بمنزلة حد الفرية « ثمانون جلدة » .

إن الرجل إذا شرب هذى ، وإذا هذى ، افترى . فجلدها عمر بالمدينة ، وكتب إلى أبي عبيدة . . فجلدها بالشام [٨١].

٥- وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس : أرأيتم أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة . فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين ؟

قالوا : إنما أنت إمام .

فقال علي بن أبي طالب : « ليس ذلك لك ، اذن يقام عليك الحد ، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء » ثم إن عمر ترك الناس ما شاء الله ، ثم سألهم : فقال القوم مثل

---

٨١ - سنن البيهقي وتاريخ الطبري وكنز العمال ج ٣ ص ١٠١ وشرح الموطأ للزرقاني ج ٤ ص ٢٥ وغيره . نقلاً عن علي والخلفاء ص ٩٠ .

مقالتهم الأولى . . وقال علي – ع – مثل مقالته .

فأخذ عمر بقول الامام.[٨٣]

٦– عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأل الناس قائلا : كم يتزوج المملوك ؟ وقال لعلي : اياك أعني يا صاحب المعافري – رداء كان عليه . –

فقال الامام – ع – اثنتين[٨٢]

٧– بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير الى بيت المقدس أو الى قيسارية ، فقال له معاذ بن جبل : اكتب الى أمير المؤمنين عمر ، فحيث أمرك فامتثله ، فكتب ابن الجراح الى عمر بالأمر ، فلما قرأ الكتاب ، استشار المسلمين بالأمر .

فقال علي – ع – : مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس ، فاذا فتح الله بيت المقدس ، صرف وجهه الى قيسارية ، فانها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى ، كذا

٨٢– كنز العمال ج ٣ ص ٩٦ والفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٤٨٢ ، نقلاً عن علي والخلفاء ص ٩٨ .

٨٣ – مناقب آل أبي طالب . ج ٢ ص ١٩١ . وعلي والخلفاء ص ١٠٢ .

أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال عمر : صدق المصطفى صلى الله عليه (وآله) وسلم ، وصدقت أنت يا أبا الحسن . . . ثم كتب الى أبي عبيدة بالذي أشار به علي (ع)[٨٤] .

٨- بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر ، شاور ابن الخطاب أصحاب رسول الله - ص - في سواد الكوفة . .

فقال بعضهم : تقسمها بيننا ، ثم شاور علياً - ع - في الأمر .

فقال ان قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها ، فتكون لنا ولمن بعدنا

فقال عمر لعلي : وفقك الله . . . هذا الرأي[٨٥] .

٩- عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب .

قال : جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم ، من أي يوم نكتب التاريخ ؟ .

---

٨٤ - علي والخلفاء ص ١٣٣ نقلاً عن ثمرات الأوراق في المحاضرات لأبن الحجة الحموي الحنفي . ج ٢ ص ١٥ طبعة ١٣٦٨ هـ .

٨٥ - علي والخلفاء ص ٢٣٩ .

فقال علي – ع – : من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وترك أرض الشرك ، ففعله عمر[٨٦] ، وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون .

هذه بعض ملامح دور الامام علي (ع) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب .

ج – في عهد عثمان :

١– تزوج شيخ كبير بكراً فحملت ، فادعى الرجل أنه لم يصل إليها ، فسأل عثمان المرأة : هل افتضك الشيخ ؟
قالت : لا فأمر باقامة الحد عليها .

فقال الامام – ع – : إن للمرأة سمين : سم الحيض وسم البول ، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم الحيض ، فحملت منه ، فقال الرجل : قد كنت انزل الماء في قبلها من غير وصول اليها بالافتضاض .

فقال الامام علي – ع – : الحمل له ، والولد له ،

٨٦– تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٣ ، وفي تاريخ اليعقوبي مثله وكنز العمال ومستدرك الحاكم والكامل لابن الأثير ، نقلاً عن علي والخلفاء ص ٢٤٠ .

وأرى عقوبته على الانكار له »[٨٧] .

٢- عن موطأ مالك عن بعجة بن بدر الجهني : أنه أتى - عثمان - بامرأة قد ولدت لستة أشهر ، فهم برجمها فقال علي - ع - : إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك ، إن الله تعالى يقول : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » ثم قال « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ».

فحولان مدة الرضاعة وستة أشهر مدة الحمل .

فقال عثمان : ردوها[٨٨]

---

٨٧ - مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٩٢ وعجائب أحكام أمير المؤمنين / محمد ابن علي القمي (ره) ص ٤٣ .

٨٨ - المناقب ص ١٩٢ وابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٧ والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٤٤٢ .

خاتمة

هذه أمثلة يسيرة مما كان ينهض الإمام علي – ع – به من مسؤوليات عظيمة في عهد الخلفاء ، وكان دافعه في ذلك الإخلاص للرسالة وحفظ الوحدة الإسلامية وحماية المسيرة الإسلامية من الإنحراف .

ولقد تنبه الخليفة الثاني الى أهمية ما يقوم به علي – ع – في هذا المضمار ، فصرح مراراً مشيداً بذلك الفضل ، ومنوهاً بأهميته في مسيرة الخلافة كقوله : « أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن »[٨٩] ، وغير ذلك .

---

٨٩ – الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ١٤٤ وسيرة عمر لا بن الجوزي ص ١٠٦ والفتوحات الاسلامية لدحلان جـ ٢ ص ٤٨٦ وغيرها ، نقلاً عن علي والخلفاء للشيخ نجم الدين العسكري ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ والغدير ج ٦ وج ٧ ، وعجائب أحكام أمير المؤمنين للمفسر الجليل محمد بن ابراهيم القمي .

الجزء الثاني

مقدمة

. . . في هذا الجزء من دراستنا لحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، ينصب البحث على دراسة أدق المراحل ، التي عاشها الإمام (ع) ، بعد رسول الله (ص) :

وهي مرحلة اضطلاعه ، بمسؤولية القيادة المباشرة ، للأمة الإسلامية ، في جميع شؤونها الحياتية . .

فقد اتسمت هذه المرحلة بأحداث غاية في الأهمية ، على الصعيد الفكري ، والاجتماعي، والسياسي ، – كما سنرى –

والتاريخ الإسلامي ، قد شهد عبر السنوات الخمس التي قضاها علي (ع) حاكماً للمسلمين ، لونين من الأحداث :

أحدهما : يتعلق بما سجله الإمام (ع) على صفحات التاريخ الإنساني ، من القيم الرفيعة ، التي اتسمت بها سياسته الفاضلة ، التي تبناها من أجل وضع حدود الله تعالى ، وشريعته العظيمة ، موضع التنفيذ ، كاملة لا نقص فيها ، ولا تحايل عليها ، ولا تفريط ، ولا أنصاف حلول ، وعلى شتى الأصعدة الحياتية . .

وثانيهما : ما يتعلق بردود الفعل السياسية التي قام بها بعض الناس والتي سجلها التاريخ الإسلامي .

وفي هذه الدراسة التي بين يديك – أيها القارئ العزيز – ستقرأ شطراً من سيرة أمير المؤمنين (ع) ، وهو يعيد لجهاز الدولة مسؤولياته الحقيقية ، في حماية رسالة الله تعالى ، وإقامة حدودها في الحياة ، والعمل على كل ما من شأنه توفير السعادة للانسان ، وبناء شخصيته وتحصينها . .

وتقرأ عن علي (ع) كذلك ، دوره في التصدي ، سواء للذين نكثوا أو مرقوا أو قسطوا . .

ومن خلال هذا الشطر من حياة الإمام أمير المؤمنين (ع) ، ستقرأ شواهد من بنود عدالته الاجتماعية ، التي جسدها في الواقع الاجتماعي ، ومواقفه الإنسانية وشدة تمسكه بشريعة الله تبارك وتعالى .

والأمر الذي نسأل الله تعالى أن يوفق أمتنا الإسلامية للأخذ به ، في حياتها العملية ، هو الالتزام الكامل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما جسدهما عملاً الإمام علي بن أبي طالب (ع) .

الامام الخليفة

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان أجمعت الأمة على بيعة الإمام علي (ع) خليفة لها ، وقد اجتاحت النفوس موجة من العاطفة نحوه ، ولكنه رد الأمة بقوله : « . . دعوني والتمسوا غيري . . »[1] .

إن علياً أبى أن يكون أسيراً للعاطفة ، فلعل نقمة بعض الناس على عثمان هي التي أججت نحوه العاطفة وشدت إليه التيار . وهو يريد من الأمة اقراراً ارادياً لإمامته . .

ثم إن علياً ليس ممن تغريه المناصب وتستهويه الكراسي حتى يستجيب فور إقبال الناس عليه ، فأن الإمرة كلها لا تساوي لديه جناح بعوضة . بل الدنيا كلها عنده كعفطة عنز – على حد

---

١ – نهج البلاغة – ص ١٣٦ – تبويب الدكتور صبحي الصالح .

تعبير له – والقيادة لا تساوي عنده شيئاً مذكوراً ، إن لم يقم من خلالها الحق ويبطل الباطل . .

ولهذا لم يستجب لضغط الجمهور فى بادئ الأمر ، قبل وضعهم أمام اختبار ليتأكد من مدى قدرة الناس على تلقي مناهجه والاستجابة لخططه إذا تسلم زمام الأمر .

فبالرغم من أن العاصمة المقدسة « المدينة المنورة » قد أصرّت على اختياره على شكل تظاهرات حقيقية وتجمعات مكثفة حتى صارت المطالبة بقيادته إجماعية لا جماعية ، فإنه (ع) بقي عند موقفه المتريّث ، بيد أن اصرار الأمة على بيعته جعلته يطرح عليها شروطه لقبول الخلافة ، فإن بايعته الأمة وفقاً لما يملي من شروط استجاب هو لمطلبها فى استخلافه . .

وحين أذاع بيانه المتضمن لشروطه « . . . واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب . . »[٢] .

سارعت الأمة مذعنة لشروطه ، ومدت يد البيعة على الطاعة إليه ؛ فلبى مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادية فى الأمة الإسلامية على الصعيد الفكرى والعملي . . .

---

٢ – المصدر السابق والصفحة ذاتها .

وقد كانت من أولى مهامه (ع) أن يزيل صور الانحراف التي طرأت على الحياة الإسلامية ، وأن يعود بالأمة الى أصالة المنهج الإلهي .

ومن أجل ذلك كان لا بد أن يسير وفق منهاج محدد وشامل يلزم ولاته بتطبيقه . . وقد انصبّ منهاج حكومته على مواجهة المشاكل في الميادين الآتية :

١ – الميدان السياسي :

لقد حدّد الإمام (ع) مواصفات ولاة الأمر وموظفي الدولة الذين يرشحهم الإسلام لإدارة شؤون الأمة الإسلامية ببيان أصدره (ع) جاء فيه :

« . . أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة . . . »[٣] .

---

٣ – نهج البلاغة رقم ١٣١ تبويب صبحي الصالح .

ففي ضوء هذا التحديد الموضوعي لصفات كادر الموظفين الذين يقرهم الإسلام عمد الإمام علي (ع) إلى الاستغناء عن خدمات قسم من الولاة الذين كانوا يتولون أقاليم الدولة الإسلامية . . لأن علياً (ع) لو ساوم – كما يريد بعض المؤرخين – لتعذر على الأجيال المسلمة التماس الصورة الحقيقية للشريعة التي ابتعث الله بها رسوله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ – الميدان الاقتصادي :

كما عمد الإمام علي (ع) الى اصلاح الوضع السياسي والاداري كذلك فعل بالنسبة للوضع الاقتصادي ، فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة الى الغاء طريقة توزيع المال التي اعتمدت فيما سبق .

فقد استبدل الإمام طريقة التمييز في العطاء بطريقةالمساواة في التوزيع التي مارسها رسول الله (ص) .

نهمته : شهوته الشديدة وحرصه المفرط .

الحائف : الجائر ، الظالم .

الدول : المال ، والحائف للدول معناه الذي يظلم في توزيع الأموال فيفضل جماعة على أخرى .

المقاطع : الحدود التي حددها الله تعالى .

فألغى الإمام (ع) كل أشكال التمييز في توزيع المال على الناس ، مؤكـداً أنّ التقوى والسابقية في الإسلام والجهـاد ، والصحبة للرسول (ص) أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا ، وإنما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة ، ومن كان له قدم في ذلك ، فالله تعالى يتولى جزاءه ، أما في هذه الدنيا فإن الناس سواسية في الحقوق الماليـة وأمام القضاء الإسلامي وفي الواجبات والتكاليف .

وقد تضمن بيانه التالي هذه الأفكار الجليلة العادلة : « ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله . . .

وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقـد استوجب حقوق الإسلام وحـدوده . فأنتم عبـاد الله ، والمال مـال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد ، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً ، وما عند الله خير للأبرار . . »[٤]

---

٤ – شرح نهج البلاغة لمحمد عبده جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

وهكذا جسَّد الإمام (ع) مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلامية دون تمييز لأي سبب من الأسباب .

هذه بعض ملامح العملية الاصلاحية التي قادها الإمام علي (ع) في شتى مرافق الحياة الإسلامية ، في المال والحكم والادارة وسواها .

منهاج الاصلاح

وضع الإمام (ع) خطته الإصلاحية الشاملة ، وقد انصّب جلُّ اهتمام الإمام (ع) على اصلاح شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم كما قدمنا .

ومن خلال ذلك العمل الإصلاحي الكبير حظيت الأمة عبر مسيرتها الجديدة التي اختطها لها أمير المؤمنين (ع)،بمعطيات جمة ذات مردودات عظيمة لصالح الأمة والمسيرة بشكل عام ، نذكر منها ما يلي :

أولا – استعانة الإمام (ع) بجهاز من الولاة والموظفين لإدارة دفة الحياة الإسلامية يعدّ أفراده نموذجاً في مستواهم الروحي والفكري والالتزامي : كعثمان بن حنيف ، ومحمد بن أبي بكر ،

ومالك الأشتر وسواهم .

على أن تلك النماذج الخيرة من الرجال ، وان كانوا في مستوى لائق في الفكر والعمل والقدرة الادارية والقيادية ، إلا أن الإمام (ع) قد زودهم بخطط هادية ومناهج راشدة ، يهتدون بها في حياتهم العملية ، وفي علاقاتهم مع مختلف قطاعات الأمة التي يباشرون قيادتها .

فهو يلزم ولاته بالنصح لعباد الله ، واشاعة العدل بينهم ومعاملتهم باللين والحب ، والتجاوز عن كل مظاهر الاستعلاء التي يغري بها المنصب غالباً ، والحيلولة دون تأثير ذوي النفوذ الاجتماعي في مسيرة العدالة الإسلامية على حساب القطاعات الاجتماعية الأخرى ، ونحو ذلك من مستلزمات اشاعة العدل وإقامة الحق بين الناس .

وهذه نماذج من خططه في هذا المضمار : —

« . . فأخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم ، فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة ، والظاهرة والمستورة ، فأن يعذب فأنتم أظلم ، وأن يعف فهو

أكرم . . »[٥] .

« سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك ، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشيطان ، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار ، وما باعدك من الله يقربك من النار »[٦] .

هذه صورة من توجيهات الإمام (ع) التي ألزم ولاته بالعمل على ضوئها في حياتهم العملية .

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن الإمام (ع) بالرغم من اهتمامه بانتقاء العناصر الكفوءة والورعة فإنه كان يحرص على الإحاطة بأساليبهم في معاملة الأمة من خلال مراكزهم القيادية باستعانته بجهاز من الرقباء والعيون ليرى مدى طاعة الولاة وتنفيذهم لقواعد العدالة الإسلامية ، فإذا بدا من أحدهم خطأ أو تقصير ، بادر الإمام الى تقويم سلوكه بالوسائل التربوية تارة وبالتهديد

---

٥ – من عهده (ع) الى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر ، نهج البلاغة ص ٣٨٣ تبويب د . صبحي الصالح .

آس = ساو بينهم . حيفك لهم = : ظلمك من أجلهم .

٦ – وصيته الى عبد الله بن عباس حين استخلفه على البصرة . نهج البلاغة ، د . صبحي الصالح رقم ٧٦ .

سع الناس = اشملهم برعايتك في كل جانب من جوانب الحياة .

طيرة = طيش وخفة .

أو بالعزل إذا لزم الأمر ، وهذه نماذج من وسائله تلك : -

فقد بلغه أن عثمان بن حنيف (رض) واليه على البصرة دعاه بعض شخصيات أهل البصرة إلى مأدبة ، فخشي الإمام (ع) أن تستميله تلك الوسائل أو سواها فينحرف عن خط العدالة الإسلامية المرسوم فيميل في أحكامه أو يجور في قضائه ومعاملته للأمة ، فكتب إليه كتاباً جاء فيه : « أما بعد ، يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة ، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب الى طعام قوم ؛ عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو ، فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه ، فالفظهُ وما أيقنت بطيب وجوهه ، فنل منه . .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد . . »[٧] .

---

٧ - نهج البلاغة تعريب د . صبحي الصالح ص ٤١٦ .
مأدبة طعام : طعام دعوة أو عرس
يستطاب لك : يطلب لك طيبها
الألوان : أصناف الطعام .

وقد كتب إلى مصقلة الشيباني عامله على (اردشير خرّة) مهدداً ومتوعداً « بلغني عنك أمرٌ ان كنت فعلته ، فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك : إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم ، وأريقت عليه دماؤهم ، فيمن اعتامك من أعراب قومك ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليَّ هواناً ، ولتخفَّنَّ عندي ميزاناً ، فلا تستهن بحق ربك ، ولا تصلح دنياك بمحق دينك ، فتكون من الأخسرين أعمالاً »[٨] .

وكتب إلى أحد عماله يقول : « أما بعد فقد بلغني عنك

الجفان = جمع جفنة وهي القصعة .
العائل = المحتاج
المجفو = مطرود « من الجفاء »
قضم = أكل بطرف أسنانه
المقضم = المأكل
الفظه = اطرحه ، لا تأكله
الطمر = الثوب البالي .
طعمه = ما يطعمه ويُفطر عليه .
قرص = رغيف خبز .
السداد = الاحتراز من الخطأ .

٨ – المرجع السابق ص ٤١٥ أعتامك : اختارك وأصله أخذ العيمة : وهي خيار المال .

أمر ، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك ، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك : بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فأرفع إليَّ حسابك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس . . »[٩] .

وكما كان الإمام (ع) يخطط للولاة ويزودهم بنصائحه الهادية ، كان يرسم الخطط كذلك لقادة جيوشه ، ويوضح لهم معالم الطريق ، وما ينبغي عليهم فعله عند مواجهة العدو .

فكان (ع) ينهاهم عن البغي ، ويأمرهم بعدم إثارة الحرب من جانبهم ، وإنما ينبغي التسلح بالصبر وضبط النفس ، وأن يكونوا في بداية المواجهة كما لو كانوا مدافعين فحسب ، فإذا اعتدي عليهم فقد قامت الحجة لصد العدوان ؛ فإذا قدر وانتصروا على عدوهم فلا يباح أن تحملهم نشوة الظفر على عدوهم الى ملاحقة جنوده الهاربين من القتال ، أو الذي لا يملك منهم سلاحاً يدافع به عن نفسه ، كما لا يجوز قتل الجرحى ، أو الإساءة إلى النساء ، وأن بدأن الإساءة بسب أو شتم أو نحوه .

وهذه بعض وصاياه (ع) لجيوشه :

« . . لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة

---

٩ – المرجع السابق ص ٤١٢ جردت الأرض : اشارة الى الخيانة بتخريب الأراضي

وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم ، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله ، فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً[١٠] ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى ، وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم . . »[١١] .

« . . ألا وإن لكم عندي ألا احتجز دونكم سراً إلا في حرب ، ولا أطوي دونكم أمراً إلاّ في حكم ، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله ، ولا أقف به دون مقطعه ، وأن تكونوا عندي في الحق سواء ، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة ، وألاّ تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق . . »[١٢] .

وبالنظر للأهمية البالغة التي يحتلها جهاز جباية الأموال في الدولة الإسلامية حيث تشكل الحقوق العامة في ملكية الأفراد عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإسلامي ، فإن حق الجماعة في الملكيات الخاصة يوفر ضمانة كبرى لمساعدة الدولة الإسلامية على تغطية نفقاتها الكبرى على الصعيد الاجتماعي والعسكري

---

١٠ – المعور : الذي عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب .

١١ – نهج البلاغة ، وصيته (ع) رقم ١٤ ص ٣٧٣ ، د . صبحي الصالح .

١٢ – نفس المصدر من كتاب له الى أمراء جيشه رقم ٥٠ ص ٤٢٤ .

وغيرهما من جوانب الحياة العامة... أقول بالنظر لأهمية جهاز الجباية هذا فقد أولاه الإمام (ع) عناية فائقة لا من أجل أن يجمع أكبر نصيب من المال أبداً، وإنما من أجل أن ينخرط - ذلك الجهاز - في مسيرة العدالة الإسلامية المثلى التي جسدها الإمام (ع) في حياة الناس. فكان الإمام حريصاً على أن يلتزم موظفو ذلك الجهاز بأقصى درجات العدل والفضيلة والنبل، والشعور بالمسؤولية، فليست مهمتهم في نظر الإمام (ع) أن يجمعوا المال من أجل المال، وإنما ينبغي عليهم أن يلتزموا الحق في تعاملهم مع الأمة وأن يعكسوا عدالة الإسلام لمن يلتقون بهم من الناس؛ فلا ينبغي أن يغضبوا أحداً من الناس، ولا يسيؤوا معاملة أحد، ولا يضربوا إنساناً من أجل درهم مثلاً، ولا يجوز أن يعتدوا على مال امرئ من المسلمين أو من غيرهم ممن يتمتع بحق التابعية للدولة الاسلامية.

كما لا يجوز أبداً أن يبيعوا كسوة إنسان أو دابته من أجل استيفاء المال، ولا يحق لأحد الجباة أن يردع أحداً أو يستوفي أكثر من حق الله في ماله، ولا ينبغي أن يستعلي على الناس أو يبخس عليهم بالتحية أو اللطف والمرونة في معاملتهم إلى غير ذلك من وصاياه (ع).

وهذه صور من مناهجه في هذا المضمار:

«.. فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة

ولا تحسموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ، ولا تبيعُنَّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً ، ولا تضربنَّ أحداً سوطاً لمكان درهـم ولا تمسنَّ مال أحدٍ من الناس مصلٍّ ولا معاهد . . »[١٣] .

« . . انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروّعَنَّ مسلماً ولا تجتازن عليه كارهاً ، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله ، فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخدج[١٤] بالتحية لهم . ثم تقول : عباد الله ، ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه . . ؟ »[١٥]

ثانياً – تجسيد المخطط الإسلامي للعدالة الاجتماعية بأجلى صوره وأدق تفصيلاته .

إذا كانت جميع جوانب الجهاز الحكومي في الدولة الإسلامية

١٣– نهج البلاغة من كتاب له الى عماله على الخراج رقم ٥١ تبويب د. صبحي الصالح .

١٤– لا تخدج بالتحية = لا تبخل بالسلام عليهم والسؤال عن أحوالهم .

١٥– نهج البلاغة كتاب لمن يستعمله على الصدقات رقم ٢٥ .

قد تناولتها يد الإصلاح ، فحققت أرقى النماذج التي يصبو إليها الإنسان ، فإن الإمام (ع) قد خطا في سبيل تحقيق أفضل صورة للعدالة الإجتماعية وفقا للتصورات الإسلامية التفصيلية.

فقد شهد المجتمع الإسلامي بجميع قطاعاته وقواه عدالة رائدة كالتي شهدها أيام رسول الله (ص) فى منطلقاتها وأبعادها .

وفيما يلي شواهد من تلك التجربة التاريخية المشعة التي تفيأت الأمة ظلالها :

أ – رفق وتعاهد :

فقد شهدت قطاعات الأمة جميعاً صوراً من التعاهد لأمرها والرفق بها ورعاية شؤونها ، والتسوية في العطاء بين جميع حملة التابعية للدولة الإسلامية التي تجسدها هذه النصوص : « المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل لأحد على أحد » .

« وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وان كان كارهاً »[١٦] .

١٦– روائع نهج البلاغة – جورج جرداق ص ١٦٣ .
الخزامة = حلقة من شعر توضع في وترة أنف البعير يشد بها زمامه ويسهل قياده .

أقول إلى جانب هذا وذاك ، شهدت الأمة التي قادها أمير المؤمنين (ع) بمختلف قطاعاتها من الوان التدبير لشؤونها ، والرعاية لأمورها ، والحدب عليها ما حقق لها القوة والسعادة وهذه صور منها :

عن الحَكَم قال :

شهدت علياً ، وأتي له بزقاق من عسل ، فدعا اليتامى وقال : ذوقوا ، والعقوا ، حتى تمنيت أني يتيم ، فقسمه بين الناس وبقي منه زق ، فأمر أن يسقاه أهل المسجد »[١٧] .

وعن هارون بن عنترة عن زاذان قال : انطلقت مع قنبر غلام علي (ع) فاذا هو يقول : قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً .

قال (ع) : وما هو ، ويحك !!

قال : قم معي . . .

فقام فانطلق به الى بيته ، وإذا بغرارة مملوءة من جامات ذهباً وفضة . فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته

---

١٧ – أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٣٦ .

فادخرت لك هذا من بيت المال .

فقال علي (ع) : ويحك يا قنبر ، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ثم سلَّ سيفه ، وضربها ضربات كثيرة ، فانتثرت . . . ثم دعا بالناس ، فقال : اقسموه بالحصص ، ثم قام الى بيت المال ، فقسم ما وجد فيه ، ثم رأى في البيت ابراً ومسال فقال : ولتقسموا هذا . . »[١٨] .

وعن الحَكَم قال : إن علياً قسم فيهم الرمّان حتى أصاب مسجدهم سبع رمانات ، وقال : أيها الناس إنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها ، ونستقلها إذا قسمناها ، وإنا قد قسمنا كل شيءأتانا

قال : وأتته صفائح فضة فكسرها ، وقسمها بيننا .

وعن علي بن ربيعة قال : جاء ابن التياح الى علي بن أبى طالب (ع) فقال : يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء ،

فقال علي : الله أكبر ، ثم قام متوكئاً على يد ابن التياح ، فدخل بيت المال وهو يقول : —

هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده الى فيه[١٩]

---

١٨ – شرح النهج تح/ محمد أبو الفضل ابراهيم ط / ١٣٧٨ هـ جـ ٢ ، ص ١٩٨ و ١٩٩

١٩– مثل يضرب ، أراد به الإمام (ع) أنه لم يصب شيئاً من مال المسلمين بل وضعه

ثم نودي في الناس ، فأعطى – علي – جميع ما في بيت المال وهو يقول : « يا بيضاء ، ويا صفراء ، غري غيري » .

حتى لم يبق فيه درهم ولا دينار ، ثم أمر بنضحه ، فصلى فيه ركعتين (ع) .

وكان لشدة حرص الإمام (ع) على الأمة لرفع غائلة الفقر والظلم عنها أنه التزم السير – عبر أيام خلافته عليها – وفقاً للنهج الآتي : « . . ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخير الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع . أو أبيت مبطاناً ، وحولي بطون غرثى ، وأكباد حرى . ؟

أأقنع من نفسي بأن يقال هذا : أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش ؟ »[٢٠] .

ب – رقابة دقيقة لوضع السوق : –

ولقد كان الإمام علي (ع) حريصاً على تجسيد العدالة

في مواضعه . تذكرة الخواص : سبط ابن الجوزى ص ١١٧ .

٢٠– نهج البلاغة من كتاب له الى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ ص ٤١٨ .

الاقتصادية في كافة مرافق الحياة الإنسانية ، ومن أجل ذلك فقد التزم خطة لمراقبة السوق من ناحية البيع والشراء وطبيعة ما يعرض للبيع ، للحيلولة دون التطفيف في المكاييل والتلاعب بالأسعار أو الغش ، فعن الإمام الباقر (ع) قال : « كان أمير المؤمنين (ع) كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ، ومعه الدرة على عاتقه ، وكان لها طرفان ، وكانت تسمى السبيبة ، فيقف على سوق سوق فينادي :

يا معشر التجار قدموا الاستخارة ، وتبركوا بالسهولة ، واقتربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم ، وتناهوا عن الكذب ، واليمين ، وتجافوا عن الظلم ، وانصفوا المظلومين ، ولا تقربوا الربا و « أوفوا المكيال والميزان بالقسط ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين »[٢١]

وعن أبي النوار قال :

رأيت علياً (ع) وقف على خياط ، فقال له : يا خياط صلِّب الخيط ، ودقق الدرز ، وقارب الغرز ، فأني سمعت رسول

---

٢١ – من سورة هود / ٨٥ ، راجع بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٠٤ من أمالي الصدوق وتذكرة الخواص ص ١٣٤ وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٢٩ مع اختلاف يسير في الألفاظ .

الله (ص) يقول « يؤتى يوم القيامة بالخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه ، وخان فيه ، فيفتضح على رؤوس الأشهاد ».

ثم قال : « يا خياط اياك والفضلات والسقطات فإن صاحب الثوب أحق بها . . »[٢٢] .

هكذا جسد الإمام أمير المؤمنين (ع) المخطط الإسلامي للعدالة الإجتماعية بأدق صورها ، وهكذا عامل الأمة بالرفق والحب فعاش آمالها وآلامها حتى قطفت أروع ثمرات العدل في تاريخها كما كانت في عهد رسول الله (ص) سواء بسواء .

ج – تبنى الإمام علي (ع) سياسة نكران الذات لصالح الأمة وذلك بالزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال وملذات وزخرف ، فلقد عاش أمير المؤمنين في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه فقراء الأمة ، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بيده سواء في ذلك قبل خلافته ، وبعدها .

وكان يلبس أخشن لباس وأبسطه وكان مبدؤه الثابت في هذا المضمار :

« . . . ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن

٢٢– تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٢٥ .

طعمه بقرصيه » ، « فوالله ، ماكنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ، ولا حزت من من أرضها شبراً ، ولا أخذت منه كقوت أتان دبرة ، ولهي في عيني أوهن من عفصة مقرة »[٢٣] .

وبمقدورنا أن نلمس سياسة الإمام (ع) هذه مع نفسه من خلال المصاديق التالية :

عن هارون بن عنترة عن أبيه قال :

دخلت على علي بالخورنق ، وهو في فصل شتاء ، وعليه خلق قطيفـة .

فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً ، وأنت تفعل هذا بنفسك !!

فقال (ع) والله ما أرزؤكم – أنقصكم – شيئاً ، وما هي إلاّ قطيفتي التي أخرجتها من المدينة »[٢٤] .

٢٣– كتابه لعثمان بن حنيف – نهج البلاغة رقم النص ٤٥ ،
التبر : فتات الذهب والفضة قبل الصياغة . الوفر : المـال .
الطمر : الثوب الخلق البالي . اتان دبرة = التي عقر ظهرها فقل أكلها .

٢٤– تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٢١ وعبقرية الإمام للعقاد ص ١٦ ط . بيروت ١٩٦٧ .

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله « يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ! »

فأجابه علي (ع) :

« ويحك إني لست كأنت . إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيَّغ بالفقير فقره »[٢٥]

وعن سويد بن غفلة قال دخلت على علي (ع) يوماً وليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه .

فقلت : يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال ، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير ؟

قال (ع) : يا سويد إن البيت لا يتأثث في دار النقلة وأمامنا دار المقامة ، وقد نقلنا اليها متاعنا ، ونحن منقلبون إليها عن قريب[٢٦]

وها هو علي يخرج سيفه ليبيعه في السوق كي يشتري بثمنه ازاراً ، وهو أمير المؤمنين وزعيم الأمة الإسلامية الذي تجبى إليه الأموال من جميع بقاع العالم الإسلامي .

---

٢٥ – نهج البلاغة تبويب د . صبحي الصالح رقم ٢٠٩ ص ٣٢٤ .
يتبيغ = يستبد به ألم الفقر .

٢٦ - تذكرة الخواص ص ٦٨ .

فعن أبي رجاء قال : أخرج علي (ع) سيفا إلى السوق فقال : « من يشتري مني هذا ؟ فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته » ! ! !

فقلت له : أنا أبيعك إزاراً وأنسؤك ثمنه الى عطائك ، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه ، فلما قبض عطاءه دفع إليَّ ثمن الإزار[٢٧]

إنه (ع) لا يأخذ من فيئهم شيئاً ، وإن قدّر له الخروج من بلدهم ، فلا يخرج إلاّ بالذي جاء به من المدينة المنورة : راحلته ورحله وغلامه :

فعن بكر بن عيسى قال : كان علي (ع) يقول : « يا أهل الكوفة ، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ، ورحلي وغلامي فلان ، فأنا خائن » .

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع ، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم ، ويأكل هو الثريد بالزيت .

ولشدة حرصه (ع) على سلوك سبيل رسول الله (ص) في عدله وزهده أشار عقبة بن علقمة قال دخلت على علي (ع) فإذا بين يديه لبن حامض ، آذتني حموضته ، وكسر يابس .

٢٧- شرح في نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأكل مثل هذا ؟

فقال لي : يا أبا الجنوب ، كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ، ويلبس أخشن من هذا ، وأشار إلى ثيابه ؛ فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألاّ ألحق به[٢٨] .

ولعظيم إيثاره للأمة على نفسه ما رواه عبد الله بن الحسين بن الحسن (ع) قال : أعتق علي (ع) في حياة رسول الله (ص) ألف مملوك مما عملت يداه ، وعرق جبينه .

ولقد ولي الخلافة ، وأتته الأموال فما كان حلواه إلاّ التمر ولا ثيابه إلاّ الكرابيس[٢٩] .

وعن سفيان الثوري عن عمر بن قيس قال : رؤي على علي (ع) إزار مرقوع ، فعوتب في ذلك ، فقال :

« يخشع له القلب ، ويقتدي به المؤمن »[٣٠] .

ولقد بلغ في شدة زهده (ع) ونكرانه لذاته ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى عبر عبارته « . . والله لقد رقّعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ، ولقد قيل لي : ألا تستبدل بها غيرها ؟

---

٢٨ – المرجع السابق ص ٢٠١ .

٢٩ – نفس المرجع ص ٢٠٢ .

٣٠ – تذكرة الخواص ص ١٢١ .

فقلت للقائل : « ويحك اعزب ، فعند الصباح يحمد القوم السرى »[٣١] .

هذه بعض بنود منهاج علي (ع) مع نفسه وهي تمثل احدى روافد العدالة الإسلامية التي جسدها الإمام (ع) في دنيا الناس أسوة برسول الله (ص) .

د – مساواة أهل بيته بسائر الناس :

أما منهاج أمير المؤمنين (ع) الذي سلكه في أهل بيته وقرابته فلم يكن بعيداً عن منهاجه مع نفسه إلاّ من حيث الدرجة ، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمة في الحقوق والواجبات ، بل إن الذي يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة والمسيرة أكثر بكثير مما ينالون من حقوق . . .

كان الإمام (ع) حريصاً على معاملة ذويه في مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس ، فلا يفضلهم بعطاء ، ولا يميزهم بحق ، فلقد سلك معهم أسلوب التدريب والاعداد للعمل بمنهاجه معهم ، بل كان يبدو شديداً مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذي رسمه الإمام (ع) لمتعلقيه وأهل قرابته .

---

٣١ – المرجع السابق ص ١٢٥ . المدرعة : ثوب صوفي غليظ .

وهاك صوراً من منهاجه ذلك :

قال مسلم صاحب الحنا :

« لما فرغ علي (ع) من أهل الجمل أتى الكوفة ، ودخل بيت المال ، ثم قال : يا مال غرَّ غيري ، ثم قسمه بيننا ، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين (ع) فتناولت منه شيئاً ، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها ، فقلنا : يا أمير المؤمنين إن لها فيه حقاً ، قال (ع) إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء »[٣٢] .

وروى هارون بن سعيد قال : قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لعلي (ع) : يا أمير المؤمنين ، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة ؛ فوالله ما لي نفقة إلاّ أن أبيع دابتي ! !

فقال الإمام (ع) لا والله ، ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك . . .[٣٣]

وقد جاءه أخوه عقيل – وكان ضريراً – يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين – زيادة على حقه – وظل يكرر طلبه على علي (ع) ، فما كان من الإمام أمير المؤمنين إلا وأحمى له حديدة على النار وأدناها منه ، ففزع منها عقيل . ثم وعظه « يا عقيل

٣٢– أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٣٢

٣٣– شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠

أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه ، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى . . »[٣٤] .

وعن أبي صادق عن علي (ع) : أنه تزوج ليلى ، فجعلت له حجلة ، فهتكها ، وقال :

حسب آل علي ما هم فيه[٣٥] .

وعن الحسن بن صالح بن حي قال :

– بلغني أن علياً (ع) تزوج امرأة فنجّدت – زيّنت – له بيتاً ، فأبى أن يدخله[٣٦] .

وعن كلاب بن علي العامري قال :

زفت عمتي الى علي (ع) على حمار بأكاف تحتها قطيفة ، وخلفها قفة معلقة[٣٧] ! !

هكذا كان منهاج علي (ع) مع أهل بيته وذوي قرابته لا يفرط

---

٣٤ بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ في المسابقة بالزهد .

٣٥ – نفس المصدر والصفحة .

حجلة : ستر يضرب للعروس في الليل .

٣٦ – البحار نفس الصفحة

٣٧ – نفس المصدر ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ في المسابقة بالزهد

أكاف = كساء يوضع على ظهر الدابة القفة = اناء من خوص النخل .

من أجلهم بحق من حقوق المسلمين ، بل يعمل كل ما من شأنه على رفع مستواهم باتجاه مبادئه في الزهد ، ونكران الذات في سبيل الله تعالى ، ولصالح مجموع الأمة .

ولقد كان منهجه واضحاً كل الوضوح لا لبس فيه ولا غموض ولا يخضع لعاطفة أو مساومة أبداً « . . والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحب إلي من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من الحطام . وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يسرع الى البلى قفولها ، ويطول في الثرى حلولها . . »[٣٨] .

وهذا السبيل الذي اختاره الإمام (ع) إنما يمثل أحد مصاديق العدل الإجتماعي الشامل الذي حرص أمير المؤمنين (ع) على تجسيده واقعاً حياً في دنيا الناس .

٣٨- نهج البلاغة رقم النص ٢٢٤ .

سياسة رد الفعل

وبسبب ما ألفه رجالات قريش من اثرة وامتيازات لا حصر لها فقد كبر عليهم أن ينهج الإمام (ع) نهج التسوية في الحقوق – كما أمر الله سبحانه – .

فقد أنكر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على الإمام (ع) سياسته تلك واعتبراها مخالفة للنهج الذي ألفه الناس

فقال لهما الإمام (ع) : ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي ؟

قالا : إنك جعلت حقنا في القَسْم كحق غيرنا ، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذناه قسراً قهراً

ممن لا يرى الإسلام إلاّ كرهاً[٣٩] .

فقال الإمام (ع) لهما : « لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً ألا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه ؟ أم أي قسم استأثرت عليكما به ؟ أم أي حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته ، أم أخطأت بابه ؟

والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية اربة ، ولكنكم دعوتموني اليها ، وحملتموني عليها ، فلما أفضت إليَّ نظرت الى كتاب الله ، وما وضع لنا ، وأمرنا بالحكم به ، فاتبعته ، وما استسنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فاقتديته ، فلم أحتج في ذلك الى رأيكما ، ولا رأي غيركما ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما واخواني من المسلمين ، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ، ولا عن غيركما .

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة – التسوية في العطاء – فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وليته هوًى مني ، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قد فرغ منه ، فلم أحتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسْمِه ، وأمضى

---

٣٩ – علي بن أبي طالب – نظرة عصرية جديدة / تأليف د . محمد أحمد خلف الله وعدد من الكتاب ص ٣٢ .

فيه حكمه ، فليس لكما ، والله ، عندي ولا لغيركما في هذا عتبى ، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق ، وألهمنا وإياكم الصبر . . رحم الله امرأ رأى حقاً فأعان عليه ، أو رأى جوراً فرده ، وكان عونا بالحق على صاحبه . . »[٤٠] .

وهكذا تختلف المنطلقات والمفاهيم ، ينطلق علي (ع) مما يأمر به الله تعالى ورسوله (ص) بينما تنطلق المعارضة مما توحي بـه مصالحهـا .

وشتان بين منطلق يرمي الى تحقيق متطلبات الرسالة ومصلحة مجموع الأمة ، ومنطلق مادي لا يرى غير المصلحة الذاتية .

موقف معاوية :

وما أن تناقلت الأنباء أمر إستخلاف الإمام علي (ع) ونهوضه بأعباء قيادة الأمة إلاّ وفزع معاوية بن أبي سفيان معلناً معارضته

وفي الأثناء ورد عليه كتاب من ابن العاص يطلعه على حقيقة الموقف في عاصمة رسول الله (ص) :

« من عمرو بن العاص الى معاوية ابن أبي سفيان : أما بعد ،

٤٠- نهج البلاغة رقم النص ٢٠٥ د . صبحي الصالح ط ١ بيروت ١٩٦٧ .

ما كنت صانعاً فاصنع ، إذ قشرك إبن أبي طالب من كل ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها . . »[٤١] .

وها هو الإمام (ع) يكتب لمعاوية كتاباً يستقدمه فيه ، بيد أنه لم يستجب للإمام (ع) بل ولم يرد على كتابه[٤٢] .

وبعد مضي ثلاثة شهور على مقتل عثمان ، وقيام الإمام علي (ع) بالأمر يشهر معاوية سلاح المطالبة بدم عثمان ، متخذاً منه ذريعة للخروج على إمام زمانه .

وقد بدأت معارضته بنشر ثوب عثمان الدامي في مسجد دمشق وشعيرات من لحيته ، وقد جمد عليها الدم ، وراح يستثير أهل الشام للنهوض من أجل عثمان والانتقام ممن قتله ، ومن ثم أرسل رسولاً إلى الإمام (ع) حتى إذا وصل الرسول إلى المدينة المنورة جعل يسير في دروبها ، وهو يحمل صحيفة مختومة مكتوباً عليها من « معاوية الى علي » وهو عنوان يثير الدهشة لدى الناس فهو خال من كل لياقة وكياسة ، كما يشير الى أن مرسله لا يحمل الى زعيم المسلمين أي شعور بالاحترام والتقدير .

---

٤١ – الإمام علي وفضائله ص ١٧٥ ، دار مكتبة الحياة / بيروت

٤٢ – الفصول المهمة / لابن الصباغ المالكي ص ٥٠ ويراجع نص كتاب الإمام (ع) في نهج البلاغة رقم ٧٥ تبويب د . صبحي الصالح « باب الكتب » ص ٤٦٤ .

وفض الإمام (ع) صحيفة معاوية ، فوجدها بيضاء لا حرف فيها فسأل رسول معاوية : ما وراءك ؟

قال بعد أن استأمن الإمام (ع) : إني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى إلاّ بالقود .

قال الإمام (ع) : ممن ؟

قال : يقولون من خيط رقبة علي ، وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، وهو منصوب لهم قد البسوه منبر مسجد دمشق ، وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه .

فقال الإمام : أمنيّ يطلبون دم عثمان ، اللهم إني أبرأ اليك من دم عثمان . . . »[٤٣] .

ثم أمر الإمام (ع) رسول الشام أن يغادر بعد أن منحه الأمان.

ومنذ ذلك التاريخ بادر الإمام (ع) بتجهيز جيشه لاخماد حركة البغاة التي قادها معاوية في الشام .

خلفيات المطالبة بدم عثمان :

ولنا أن نتساءل قبل أن نمضي في حديثنا قدماً ، هل كانت

---

٤٣ — الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١

الأطراف في كل من الشام والبصرة صادقة في ادعاء المطالبة بدم الخليفة الثالث ؟

وللإجابة على هذا السؤال الذي يفرض نفسه على الكاتب والقارئ معاً في هذه المسألة : لا بد من الرجوع الى مواقف تلك الأطراف جميعاً أيام الثورة التي تمخض عنها مقتل عثمان .

فقد كان معاوية يعلم بتفاصيل ما يجري للخليفة في المدينة ، وقد استغاث به الخليفة أيام الحصار فلم يغثه بشيء حتى أرسل معاوية جيشاً إلى المدينة بقيادة يزيد بن أسد القسري وقال له : « إذا أتيت ذا خُشُب – منطقة خارج المدينة – فأقم بها ولا تتجاوزها ، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانني أنا الشاهد وأنت الغائب »[٤٤] .

فأقام القسري بجيشه في المكان الذي حدده معاوية ، فلما قتل عثمان استدعى معاوية الجيش وقائده الى الشام

هذه بعض مواقف معاوية ؛ من عثمان بن عفان أيام حكمه ، ومن هنا فان شعار المطالبة بدم الخليفة القتيل من قبَله كان مجرد وسيلة لاستدرار العطف وتجميع الأنصار . فدوافعه الحقيقية

---

٤٤ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٥٤ « شرح كتاب الإمام (ع) الى معاوية رقم ٣٧ .

إنما تكمن في نقمته على سياسة علي (ع) الإصلاحية والتي كانت تمس مصالح بعض طبقات المجتمع بشكل أو بآخر .

وقد أفصح الإمام (ع) عن موقفه ازاء مقتل الخليفة عثمان بقوله : « اللهم إني ابرأ اليك من دم عثمان ، ما نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله ، فإنه إذا أراد أمراً بلغه »[٤٥] .

ويتضح موقف الإمام (ع) كذلك من كتاب له الى معاوية حيث جاء فيه « وقد أكثرت في قتلة عثمان ، فأدخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليَّ أحملك وإياهم على كتاب الله ، فأما تلك التي تريدها فخدعة . . . » [٤٦].

موقف الإمام علي (ع) أيام الأزمة :

ومن الضروري جداً أن نشير ولو بشكل مقتضب الى موقف الإمام (ع) أيام الأزمة التي تعرضت لها الخلافة في عهد عثمان : —

فحين هاج الناس في عهد عثمان حاول الإمام (ع) أن يقنع الخليفة بضرورة الاصلاح ، وجرى بينهما حديث بهذا

---

٤٥ — الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١ .

٤٦ — شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٥ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

الشأن ، ومما نصح به الإمام (ع) الخليفة قوله :

« . . . وإني أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال : يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ، ويلبس أمورها عليها ، ويبث الفتن فيها ، فلا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً ، فلا تكوننَّ لمروان سيِّقة يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن وتقضي العمر . . » [٤٧] .

فقال له عثمان : « كلّم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم » [٤٨] .

فقال الإمام (ع) : « ما كان بالمدينة ، فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه » [٤٩] .

قال الخليفة : نعم ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام .

فخرج الإمام إلى الناس ، وأخبرهم بما وعد به الخليفة ، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً وأشهد عليه قوماً من وجوه المهاجرين

٤٧- نهج البلاغة / تبويب د . صبحي الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤ .

٤٨ - المرجع السابق نفس الصفحة .

٤٩- المصدر السابق أيضاً .

والأنصار »[٥٠].

وحيث لم يتيسر لعثمان أن يبَّر بوعده للناس تأزم الموقف مجـدداً . . .

وقد زاد في حراجة الموقف عثور المصريين الثوار على بريد من عثمان الى عامل مصر يأمره بمعاقبة قادة الثائرين بالقتل[٥١] ومعاقبة كل متظلم بالسجن ونحو ذلك . . .

فحوصر الخليفة من قبل المهاجمين و الطامعين في الخلافة معاً حتى قطع عنه الماء – كما قدمنا – فاستنجد بالإمام علي (ع) فأسرع لإنقاذه وأرغم طلحة وسواه ، وأدخل إليه الماء[٥٢] .

وبعد أن طال حصار الخليفة – أربعين يوماً – طلب بعض الناس من علي (ع) أن يصلي بهم ، فأبى

فتولى طلحة إمامة الصـلاة . . !

هذه بعض مواقف الإمام (ع) من أجل عثمان . . وبالرغم من تلك المواقف النبيلة التي وقفها الإمام (ع) من أجل الخليفة

٥٠– الطبري وابن الأثير وغيرهما « نقلاً عن أحاديث أم المؤمنين عائشة ص ٩٨ »

٥١ – الطبري وأنساب الأشراف والمعارف لابن قتيبة وسواهم « نقلاً عن المصدر السابق ص ٩٩ » .

٥٢ – تاريخ الطبري وأنساب الأشراف للبلاذري « نقلاً عن المصدر السابق ص ١١٣ » .

فإنه لا يعني بحال أن الإمام كان راضياً عن سياسة الخليفة في المال والإدارة[٥٣] .

بيد أنَ الإمام (ع) كان يرى في قتل عثمان خطراً يتهدد الأمة بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي ، وتجرؤ من لدن المتربصين بالإسلام والمسلمين .

الأمر الذي وقع فعلاً بعد مقتل الخليفة مباشرة .

---

٥٣ – شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٥–٦ .

حرب البصرة

على الرغم من أن طلحة والزبير كانا من أشد الناقمين على سياسة عثمان ومع أنهما سبقا الناس في البيعة للإمام علي (ع) بعد قتل عثمان ، فإن الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام (ع) في الحياة الإسلامية لم تجد هوى في نفسيهما فبدآ في العمل للخروج على الإمام (ع) واثارة المسلمين عليه ، فكانت حصيلة ذلك فتنة كبدت الأمة خسارة فادحة .

وقد بذل الإمام (ع) جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة فلم يأل جهداً في بذل النصح لهم وتحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشبت الحرب ، وهذه نصيحته (ع) لهما :

« أما بعد يا طلحة ، ويا زبير ، فقد علمتما إني لم أرد الناس

حتى أرادوني ، ولم أبايعهم حتى أكرهوني ، وأنتما أول من بادر الى بيعتي ، ولم تدخلا في هذا الأمر ، بسلطان غالب ، ولا لعرض حاضر ، وأنت يا زبير ، ففارس قريش ، وأنت يا طلحة فشيخ المهاجرين ، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد اقراركما ، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه المطالبون بدمه ، وانتما رجلان من المهاجرين ، وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقر فيه ، والله حسبكما . .)[٥٤]

وفي البصرة استمر الإمام (ع) يبذل نصحه من أجل حقن الدماء ، فأرسل للناكثين رسولاً يدعوهم للصلح ورأب الصدع . .

كما التقى بالزبير وذكره بأمور جرت لهما في عهد رسول الله (ص) منها : ما حملك على ما صنعت يا زبير ؟

قال : حملني على ذلك الطلب بدم عثمان !

فقال الإمام : إن أنصفت نفسك ، أنت وأصحابك قتلتموه ، ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر ، قال لك رسول الله (ص) : يا زبير أتحب علياً ، فقلت ، وما يمنعني من حبه

---

٥٤ -- الفصول المهمة ص ٥٥ لابن الصباغ المالكي

وهو ابن خالي .

فقال لك : أما أنك تخرج عليه وأنت له ظالم !

فقال الزبير : اللهم بلى ، قد كان ذلك .

فقال الإمام : « أنشدك الله أتذكر يوم جاء رسول الله (ص) من عند بني عوف ، وأنت معه ، وهو آخذ بيدك فاستقبلته ، فسلمت عليه ، فضحك في وجهي ، وضحكت إليه . فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال (ص) لك : مهلاً يا زبير ليس بعلي زهو ، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له ؟

قال الزبير : اللهم بلى ، ولكني قد نسيت ذلك ، وبعد أن ذكرتنيه لأنصرفنَّ »[٥٥] .

وقد عزم الزبير على اعتزال الناس ، غير أن ابنه عبدالله وصفه بالجبن إن هو أقدم على ذلك . .

وهكذا تفجّر الموقف واندلع القتال بين المعسكرين . .

---

٥٥ – الفصول المهمة في معرفة الأئمة / ابن الصباغ المالكي ص ٦٣ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٧ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦٧ .

الموقف الإنساني :

غير أن الإمام ظل ملتزما بالصبر والأناة وبما امتاز به من الروح الإنسانية الرفيعة ، فها هو يخاطب جيشه – بعد اندلاع القتال ، وبعد أن ذهبت كل محاولاته لاصلاح الموقف سدىً – ملزماً أصحابه بأرفع الأخلاق التي يريد الله سبحانه من المسلم الالتزام بها في ساحة الحرب « أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تستحلوا سبياً ، ولا تأخذوا سلاحاً ، ولا متاعاً »[٥٦] . طارحاً بذلك أحكام شريعة الله تعالى في البغاة .

ثم دعا ربه الأعلى سبحانه مستجيراً من الفتنة التي فجرها الناكثون معلناً براءته منها أمام الله الكبير المتعال .

فبعد أن رفع يديه الى السماء قال « اللهم ان طلحة والزبير أعطياني صفقة أيديهما طائعين ، ثم نصبا لى الحرب ظاهرين ، اللهم : فأكفنيهما بما شئت وكيف شئت . . »[٥٧] .

وقد أسفرت المعركة عن إنتصار ساحق لمعسكر الإمام (ع)

٥٦– الفصول المهمة / للمالكي ص ٦٢ وتذكرة سبط ابن الجوزي .

٥٧– الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦٢ ، وتذكرة سبط بن الجوزي .

فأعلن الإمام العفو العام عن جميع المشتركين في حربه :

« ألا لا يجهز على جريح ، ولا يتبع مولٍ ، ولا يطعن في وجه مدبر ، ومن القى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ولا يستحلن فرج ولا مال ، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه ، وما كان سوى ذلك ، فهو لورثته ، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر ، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم ، وليس لكم أم ولد – الأمة استولدت ذكراً أو انثى – والمواريث على فريضة الله ، وأي امرأة قتل زوجها ، فلتعتد أربعة أشهر وعشراً .

فقال بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم ؟

فقال (ع) : كذلك السيرة في أهل القبلة[٥٨] .

بيد أن بعضاً من جيشه كانوا يرغبون الحصول على مغانم أكبر مما حدده الإمام (ع) .

فقام له رجل قائلاً : يا أمير المؤمنين ، والله ما قسمت بالسوية

---

٥٨ – أحاديث أم المؤمنين عائشة ق ١ ص ١٨١ نقلا عن البعقوبي وكنز العمال .

ولا عدلت في الرعية !

قال الإمام (ع) : ولم ؟ ويحك !!

قال : لأنك قسمت ما في المعسكر وتركت الأموال والنساء والذرية !!

فقال له الإمام موضحاً فلسفة ذلك الموقف الإنساني الذي التزمه :

يا أخا بكر : إنك امرؤ ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير ، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشد ، وولدوا على الفطرة ، وانما لكم ما حوى عسكرهم ، وما كان في دورهم ، فهو ميراث لذريتهم ، فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه ، وان كفّ لم نحمل عليه ذنب غيره .

يا أخا بكر : لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (ص) في أهل مكة : قسّم ما حوى العسكر ، ولم يعرض لما سوى ذلك وانما اتبعت أثره . . .

يا أخا بكر : أما علمت أن دار الحرب يحلّ ما فيها ؟

وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق . . »[٥٩] .

هذه بعض مصاديق الموقف الإنساني الفريد الموافق لأمر الله والمطابق لشريعته الغراء الذي التزم به الإمام علي (ع) في معاملة المنهزمين من خصومه . . إنه موقف لا ترى فيه للعاطفة والاندفاع والتشفي أثراً . . . إنه موقف جسد فيه الإمام حكم الله تعالى .

وهل غير علي (ع) جدير بتجسيد حكم شريعة الله فيما شجر بين الناس ؟

وواصل الإمام (ع) خطواته الإنسانية إزاء الناكثين .

وهكذا حسم الموقف لصالح الإمام (ع) في فتنة البصرة فأبدى الإمام (ع) خلاله وبعده أنبل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم محاولاً بذلك رأب الصدع وجمع الشمل واعزاز الأمة . .

حرب صفين

بعد أن تم لعلي (ع) النصر عاد بجيشه الى الكوفة ،

---

٥٩ نفس المصدر ص ١٨٢ نقلاً عن كنز العمال ومنتخب الكنز .

وبعد أن عزز الجيش عزم على التوجه إلى الشام لتصفية المعارضة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان هناك . .

وسار الإمام (ع) على رأس جيشه ، غير أن أنباء مسير الإمام (ع) نحو الشام قد بلغت الناكثين هناك ، فقرروا ملاقاة الزحف الإسلامي فتلاقى الجيشان عند نهر الفرات . . .

وبدأ الإمام (ع) ببذل مساعيه لاصلاح الموقف بالوسائل السلمية ، فأرسل وفداً ثلاثياً الى معاوية ، يدعوه الى تقوى الله والحفاظ على وحدة الصف والدخول في اجماع الأمة « . . اذهبوا الى هذا الرجل – معاوية – وادعوه الى الله تعالى ، والى الطاعة والجماعة ، لعلّ الله تعالى أن يهديه ، ويلتئم شمل هذه الأمة »[٦٠] .

والتقى الوفد بقائد المعارضة ، وأبلغوه بنوايا الإمام (ع) ووضعوه أمام الله تعالى وحذروه مغبة ما يقدم عليه ، غير أن معاوية أبدى اصراراً ، وقد ختم رده على الوفد « انصرفوا عني فليس عندي إلاّ السيف »[٦١] .

على أن الموقف الأموي ذاك لم يصرف الإمام (ع) عن التسلح

---

٦٠ – الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٧٠ .

٦١ – نفس المصدر ص ٧١ .

بالصبر والاناة ولم يثر فيه روح التعجيل بالمواجهة الصارمة حقناً للدماء ، وحفاظاً على نفوس الأمة . . .

بيد أن الموقف الإنساني الذي التزمه الإمام (ع) لم يزد القوى المعارضة إلاّ إصراراً ، فعملوا من جانبهم على الحيلولة دون حصول جيش الإمام (ع) على الماء ، حيث سبق أن تحرك فيلق لهم واتخذ مواقعه عند ماء الفرات ليمنع جند الإمام من المـاء . . .

وبالنظر لأهمية الماء في الاستراتيجية العسكرية ولعدم توفر مصدر آخر لجيش الإمام غير الفرات ؛ فإن الإمام (ع) قد التزم الأناة أيضاً في معالجة الموقف .

فأرسل رسولاً الى معاوية ليبلغه « أن الذي جئنا له غير الماء ، ولو سبقناك إليه لم نمنعك عنه » .

فـرد عليهم معاويـة بقولـه : « لا والله ولا قطـرة حتى تموت ظمأ »[٦٢] ! ! .

الأمر الذي اضطر الإمام (ع) الى استعمال العنف في الحصول على الماء لجيشه ، حيث لا بديل للعنف . . .

٦٢– شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣ لابن أبي الحديد / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط . ١٩٥٩ م دار احياء الكتب العربية .

وهكذا حرك الإمام (ع) فرقة من جيشه لانهاء الحصار المضروب عليهم ، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمة . . .

وبعد أن صار الماء في نطاق نفوذ جيش الإمام (ع) أذن للباغين بالتزود منه متى شاؤوا ، مجسداً بذلك بندا من أخلاق الإسلام العظيمة في هذا المضمار .

فأعظم بعلي من محارب نبيل ، وأكرم به من صاحب قلب كبير . . .

وحيث أن همَّ الإمام (ع) أن يحقن دماء المسلمين ويصونهم من التمزق ، ويدرأ التصدع عن صفهم ؛ فقد طلب من معاوية أن ينازله إلى ميدان القتال فيتقاتلا دون الناس لكي تكون إمامة الأمة لمن يغلب « يا معاوية علام يقتتل الناس ؟ ابرز إليّ ودع الناس ، فيكون الأمر لمن غلب »[٦٣] .

إلا أن معاوية قد رفض خوفاً من بطش الإمـام (ع) . . . وبالرغم من أن الجيش الأموي قد بدأ القتال من جانبه ، فإن الإمام (ع) قد التزم بضبط النفس كذلك وحاول أن يحصر القتال في حدود المبارزة المحدودة[٦٤]

---

٦٣ ٦٤ – الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ، بلفظ متقارب .

ولما لم تلق محاولات الإمام (ع) لرأب الصدع – الذي خلفه معاوية في صف الأمة – استجابة ، تفجر الموقف بحرب واسعة النطاق استمرت أسبوعين دون هوادة .

وقد لاحت تباشير النصر لصالح معسكر الامام (ع) وأوشكت القوى الباغية على الانهزام ، فدبروا « خدعة المصاحف » فرفعوا المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف . . مما نجم عن تلك الخطة الماكرة تغير جوهري في الموقف العام .

ولقد كان لرفع المصاحف من لدن معسكر معاوية صدىً عميقاً في معسكر الإمام (ع) إذ سرعان ما سارت كثرة كاثرة من جيشه مطالبة بايقاف القتال . . فكثر اللغط بين الصفوف وآثر الآلاف ترك الحرب . .

ومع أن الإمام تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف واستعمل كل وسائله الاقناعية في البرهنة على كونها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذي بات وشيكاً لصالح جيش الإمام (ع). إلا أن المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة في هذا المضمار ، ولعل بعضهم استعمل لغة التهديد للإمام (ع) . . .[٦٥] .

---

٦٥ – تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٠٣ .

واضطروه أن يبعث الأشعث بن قيس الى معاوية للتعرف على ما يريد من وراء رفعه للمصاحف ، فعاد يحمل رغبة معاوية في التحكيم . . . ثم تلى ذلك الفصل الثاني من المأساة ، فاختارت الغوغاء أبا موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام (ع) بينما اختار معاوية ابن العاص . على أن الإمام (ع) قد رفض فكرة تمثيل الأشعري لمعسكره باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام (ع) ولم يكن يرى في الإمام أهلاً لتولي الخلافة بعد عثمان[٦٦] – هو وآخرون ممن اعتزلوا الإمام (ع) – وكان يخذل الناس عن نصرة الإمام ، مما حمل الإمام على عزله من ولاية الكوفة[٦٧] . . . .

وقد رجح الإمام (ع) أن يكون الممثل لمعسكره في التحكيم عبد الله بن عباس ، غير أن الغوغاء أصروا على اختيار أبي موسى الأشعري بالرغم من تأكيد الإمام على ضعفه ووهن رأيه اضافة إلى مرتكزاته الفكرية وموقفه من حكومة الإمام (ع) .

وها هو الإمام (ع) يخاطب المخدوعين بقوله « قد عصيتموني في أول الأمر – يشير الى قبول التحكيم وإيقاف القتال – فلا تعصوني الآن ، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فانه ضعيف

٦٦– راجع الفصول المهمة ص ٧٨ وتذكرة الخواص ص ١٠٣ .

٦٧– تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٤ .

عن عمرو ومكائده »[٦٨] .

إلا أنهم أصروا على اختيار الأشعري . . .

ومن هنا فإن الباحث البصير لا يمكن أن يركن الى الاعتقاد بأن تلك الأمور قد جرت بشكل عفوي أبداً . . . فإن سير الأحداث لا يدل على ذلك . . اذ أن رفع المصاحف كان قد جرى بتوقيت وتنسيق بين معاوية وحركة موالية له في جيش الإمام (ع) لا بد أن يكون له اتصال معها . . .

فما أن ارتفعت المصاحف حتى استجاب أولئك لإيقاف القتال مستفيدين من سأم الناس من القتال ، فوسعوا قاعدتهم في صفوف معسكر الإمام (ع) وفرضوا عليه التحكيم ، وممثل معسكره في التحكيم فيما بعد . . .

وهكذا فاني لا أعتقد بحال أن لا تكون حركة التمرد في جيش الإمام (ع) بذلك الشكل الذي ذكره المؤرخون لا تعتمد على تخطيط أموي مسبق أبداً . . .

وقد جاءت نتائج التحكيم - كما توقع الإمام (ع) - لصالح معاوية حيث بدأ الأمر يستتب له شيئاً فشيئاً .

---

٦٨ - نفس المصدر ص ٧٩ .

حرب النهروان

بعد واقعة التحكيم عاد الإمام (ع) بجيشه الى الكوفة . . . ففوجئ بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف ، معلنة تمردها على الإمام (ع)فلم تدخل معه الكوفة . . وإنما سلكت سبيلها الى حروراء ، فاتخذت مواقعها هناك . . .

ومن الجدير بالذكر أن الفئة التي خرجت على الإمام (ع) كان غوام أغلبها من الفئات التي أرغمته على التحكيم في حرب صفين[٦٩] .

فعند تمرد تلك الفئة وخروجها من جيش الإمام (ع) أعلنت مبررات خروجها تحت شعار « لا حكم إلا لله ، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله ، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم ، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين ، وقد تبنا الى ربنا ، ورجعنا عن ذلك ، فارجع - يقصدون الإمام (ع) - كما رجعنا ، وإلاّ فنحن منك براء »[٧٠] .

---

٦٩ - يوليوس فلهوزن / الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي ط ٢ ، ١٩٧٦ كويت ص ٣٢ .

٧٠- وقعة صفين / نصر بن مزاحم ط ٢ ، ١٣٨٢ هـ ص ٥١٧ .

بيد أن الإمام (ع) أوضح لهم حينئذٍ أن الخلق الإسلامي يقتضي الوفاء بالعهد – الهدنة لمدة عام – الذي أبرم بين المعسكرين قائلاً : « ويحكم ، بعد الرضا والعهد والميثاق أرجع ؟

أوليس الله يقول « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تفعلون »[٧١] .

إلا أن المعارضة لم تصغ إلى توجيهات الإمام (ع) واستمروا في غيهم ، وتعاظم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم ، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين الى معسكر الإمام (ع) – بالإضافة للإمام – ورأوا استباحة دمائهم . . .

ولقد كان الإمام (ع) عازماً على عدم التعرض لهم ابتداءً ليمنحهم فرصة التفكير جدياً بما أقدموا عليه ، عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد ، ولكي يتفرغ كلياً لاستئناف القتال مع البغاة في الشام ، بعد فشل التحكيم بعد اللقاء الثاني بين الحكمين ، حيث تمت خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري التي أدت الى عدم تحقيق التحكيم . .

---

٧١ – النحل / ٩١ راجع وقعة صفين : نصر بن مزاحم ص ٥١٧ .

غـير أنهـم بدأوا يشكلـون خطـراً حقيقياً عـلى دولـة الإمام (ع) من الداخل . . وبدأ خطرهم يتعاظم فقتلوا بعض الأبرياء ، وهددوا الآمنين ؛ فقتلوا الصحابي الجليل عبدالله بن خباب وبقروا بطن زوجه وهي حامل مقرب دون مبرر . . وقتلوا نسوة من طي .

فلما بلغ أمرهم أمير المؤمنين (ع) أرسل اليهم الحارث بن مرة العبـدي ، ليتعرف على حقيقة الموقف ، غير أنهم قتلـوه كذلك[٧٢]

فلما علم الإمام (ع) بالأمر كرَّ راجعاً من الأنبار – حيث كان قد اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام – وعندما اقتربت قواته منهم بذل مساعيه من أجل اصلاح الموقف دون اراقة للدماء ، فبعث اليهم أن يرسلوا اليه قتلة المؤمنين : عبدالله ابن خباب والحارث العبدي وغيرهما وهو يكف عنهم ، ولكنهم أجابوه : انهم كلهم قتلوه . . .

وبعث الإمام (ع) اليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم ، وحذرهم مغبة موقفهم الأحمق . . وأهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون وجه حق . . .[٧٣] .

---

٧٢ – الفصول المهمة / للمالكي ص ٩١ ٧٣ – المصدر المتقدم ص ٩٢ .

وتابع الإمام (ع) موقفه الإنساني الرشيد ، فأرسل اليهم أبا أيوب الأنصاري (رض) وبعد أن وعظهم ، رفع راية ونادى : من جاء هذه الراية – ممن لم يقتل – فهو آمن ، ومن انصرف الى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به بعد أن نصيب قتلة اخواننا[٧٤] .

وقد نجحت المحاولة الى حد كبير حيث تفرقوا شيئاً بعد شيء حتى انخفض عددهم الى أربعة آلاف اذ كان عددهم اثني عشر الفاً .

وقد بدأ الباقون منهم الهجوم من جانبهم على جيش الإمام (ع) فأمر أصحابه بالكف عنهم حتى يبدؤوا بالقتال . فلما بدأ الخوارج القتال ، طوقتهم قوات الإمام (ع) وتحقق الظفر لراية الحق .

وهكذا قضى الإمام (ع) في حرب النهروان على حركة الذين سبق لرسول الله (ص) أن سماهم بالمارقين حين أشار اليهم في حديث رواه أبو سعيد الخدري قال « سمعت رسول الله (ص) يقول يخرج في هذه الأمة قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرميـــة »[٧٥] .

٧٤– أعيان الشيعة ج ٣ ، ص ٢٠ (عن الطبري) والفصول المهمة ص ٩٣

٧٥– أخرجه البخاري في صحيحه نقلا عن الفصول المهمة ص ٩٤ أو البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢ ، ص ٣٧٦ عن علي (ع) بلفظ آخر ، وخصائص النسائي ص ٧١

في ذمة الله

أنهى الإمام (ع) مقاومة المارقين ، فشمر عن ساعديه لاستئناف قتال القاسطين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء الثاني بين الحكمين .

وقد أمر الإمام (ع) بتعبئة جيشه ، وأعلن حالة الحرب لتصفية قوى المعارضة التي يقودها معاوية ، وجاء اعلان الحرب من خلال خطبة لأمير المؤمنين (ع) خطبها في الكوفة – عاصمة الدولة الإسلامية – فضمنها دعوته للجهاد .

« . . الجهاد ، الجهاد عباد الله ! ألا وإني معسكر في يومي هذا . . فمن أراد الرواح الى الله ، فليخرج ! »[٧٦] .

٧٦– نهج البلاغة رقم الخطبة ١٨٢ .

ثم بادر الإمام (ع) الى عقد الوية الحرب ، فعقد للحسين راية ولأبي أيوب الأنصاري أخرى ، ولقيس بن سعد ثالثة .

وبينما كان أمير المؤمنين يواصل تعبئة قواته من أجل أن ينهي حركة المعارضة التي يقودها معاوية في بلاد الشام كان يجري في الخفاء تخطيط لئيم من أجل اغتيال الإمام (ع) .

فقد كان جماعة من الخصوم قد عقدوا اجتماعا في مكة المكرمة ، وتداولوا في أمر حركتهم ، التي انتهت إلى أوخم العواقب .

فخرجوا بقرارات كان أخطرها قرار اغتيال أمير المؤمنين (ع) وقد أوكل أمر تنفيذه للمجرم الأثيم (عبد الرحمن بن ملجم المرادي) ، وفي ساعة من أحرج الساعات التي يمر بها الإسلام والمسيرة الإسلامية ، وبينما كانت الأمة تتطلع الى النصر على عناصر المعارضة والفرقة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان ، امتدت يد الأثيم المرادي الى علي (ع) فضرب الإمام (ع) بسيف وهو في سجوده عند صلاة الفجر ، وفي مسجد الكوفة الشريف ، وذلك في صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ هجرية .

لقد اغتيل الإمام (ع) وهو في أفضل ساعة حيث يقوم بين يدي الله في صلاة خاشعة .

وفي أشرف الأيام إذ كان يؤدي صوم شهر رمضان .

ثم هو (ع) في أعظم تكليف اسلامي حيث كان في طريقه لخوض غمار حرب جهادية ، كما كان في بقعة من أشرف بقاع الله وأطهرها « مسجد الكوفة » .

فطوبى لعلي وحسن مآب

لكن جريمة قتل علي (ع) تبقى أشرس جريمة وأكثرها فظاعة ووحشية ، لأنها جريمة لم تستهدف رجلا كباقي الرجال ، إنما استهدفت القيادة الإسلامية الراشدة . .

واستهدفت كذلك اغتيال رسالة ، وتاريخ ، وحضارة ، وأمة كلها تتمثل في شخص علي أمير المؤمنين (ع) .

وبهذا خسرت الأمة الإسلامية مسيرة وحضارة ، وأروع فرصة وأطهرها في حياتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولقد بقي الإمام (ع) يعاني من علته ثلاثة أيام ، عهد خلالها بالإمامة الى ولده الحسن السبط (ع) ليمارس بعده مسؤولياته في قيادة الأمة الفكرية والاجتماعية .

وكان (ع) طوال الأيام الثلاثة – كما كان طول حياته – لهجاً بذكر الله ، والثناء عليه والرضا بقضائه ، والتسليم لأمره ، كما كان يصدر الوصية تلو الوصية ، والتوجيه الحكيم أثر التوجيه ،

مرشداً للخير ، دالاً على المعروف ، محدداً سبل الهدى ، مبيناً طريق النجاة ، داعياً لاقامة حدود الله تعالى وحفظها ، محذراً من الهوى والنكوص عن حمل الرسالة الإلهية .

وهذه واحدة من وصاياه بهذا الشأن – مخاطباً بها الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) وأهل بيته وأجيال الأمة :

« أوصيكما بتقوى الله ، وألاّ تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكما ، وقولا بالحقّ ، واعملا للأجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً .

أوصيكما ، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي ، بتقوى الله ، ونظم أمركم ، وصلاح ذات بينكم ، فإني سمعت جدكما – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول : « صلاحُ ذات البين أفضلُ من عامَّة الصلاة والصيام » .

الله الله في الأيتام ، فلا تُغبُّوا أفواهَهُمْ ، ولا يضيعُوا بحضرتكم

الله الله في جيرانكم ، فأنهم وصية نبيكم . ما زال يوصي بهم ، حتى ظننَّا أنه سيورثهم .

الله الله في القرآن ، لا يسبقكم بالعمل به غيركم .

الله الله في الصلاة ، فإنها عمود دينكم .

الله الله في بيت ربكم ، لا تخلوه ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا .

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله .

وعليكم بالتواصل والتباذل ، وإياكم والتدابر والتقاطع ، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ، ثم تدعون فلا يستجابُ لكم .

ثم قال :

يا بني عبد المطلب ، لا الفينكم تخوضون دماءَ المسلمين خوضاً ، تقولون : « قتل أمير المؤمنين » ألا لا تَقْتُلُنَّ بي إلا قاتلي .

أنظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه ، فاضربوه ضربةً بضربةٍ ، ولا تمثلوا بالرجل ، فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول : « إياكم والمثلةَ ولو بالكلب العقور »[٧٧] .

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم . .

فلقد كانت خسارة الرسالة والأمة بفقده من أفدح الخسائر

٧٧– نهج البلاغة / ترتيب د . صبحي الصالح ، ص ٤٢١ رقم ٤٧ .

التي أصيبت بها الأمة بعد رسول الله (ص) .

فبموت علي (ع) فقدت الأمة :

بطولة غدت أنشودة للزمان . .

وشجاعة ما حلم التاريخ بمثلها . .

وحكمة لا يعلم بعدها إلا الله . .

وطهراً ما اكتسى به غير الأنبياء . .

وزهداً في الدنيا ما بلغه إلاّ المقربون .

وبلاغة كأنما هي رجع صدىً لكتاب الله

وفقهاً وعلماً وتضلعاً بأحكام الرسالة رشحته لأن يكون باب مدينة علم الرسول (ص) ومرجعا للأمة الإسلامية في جميع شؤونهـا .

فسلام على أمير المؤمنين يوم ولد ويوم قضى شهيداً في محرابه ، ويوم يبعث حياً .

والحمـــد لله رب العـــــالمين

الفهرس

الجزء الأول

مقدمة ٥

* بزوغ الفجر ١١

* في كفالة رسول الله (ص) ١٣

* حصيلة الاعداد النبوي ١٥

* في كنف الوحي ١٧

* أول المؤمنين ٢٠

* أول الدعاة ٢٣

* مواجهة الجاهليين ٢٦

* أبو طالب يتصدى لأعداء الرسالة ٢٨

* أبو طالب في الحصار مع رسول الله (ص) ٢٩

* الى دار الإسلام ٣٢

* في فراش رسول الله (ص) ٣٥

* الانتظار في قبا ٣٧

* مهمات ما بعد الهجرة ٤٠

* بأس في الحرب ٤٢

١ – في معركة بدر ٤٢

٢ – في معركة أحد ٤٣

٣ – في غزوة الأحزاب ٤٤
٤ – في غزوة خيبر ٤٧
٥ – في غزوة حنين ٤٨
* علي في منظار الإسلام ٥١
* من فضائل الإمام (ع) ٥٧
* علي في عهد الخلفاء ٦١
أ – في خلافة أبي بكر ٦٦
ب – في خلافة عمر بن الخطاب ٦٩
ج – في خلافة عثمان بن عفان ٧٤
الجزء الثاني ٧٧
مقدمة ٧٩
* الإمام الخليفة ٨١
* منهاج الاصلاح ٨٧
* سياسة رد الفعل ١١٠
* حرب البصرة ١٢٠
* حرب صفين ١٢٦
* حرب النهروان ١٣٣
* في ذمة الله ١٤٠

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٣١٣٣٦
التاريخ ٥/١١/٢٠٠٦

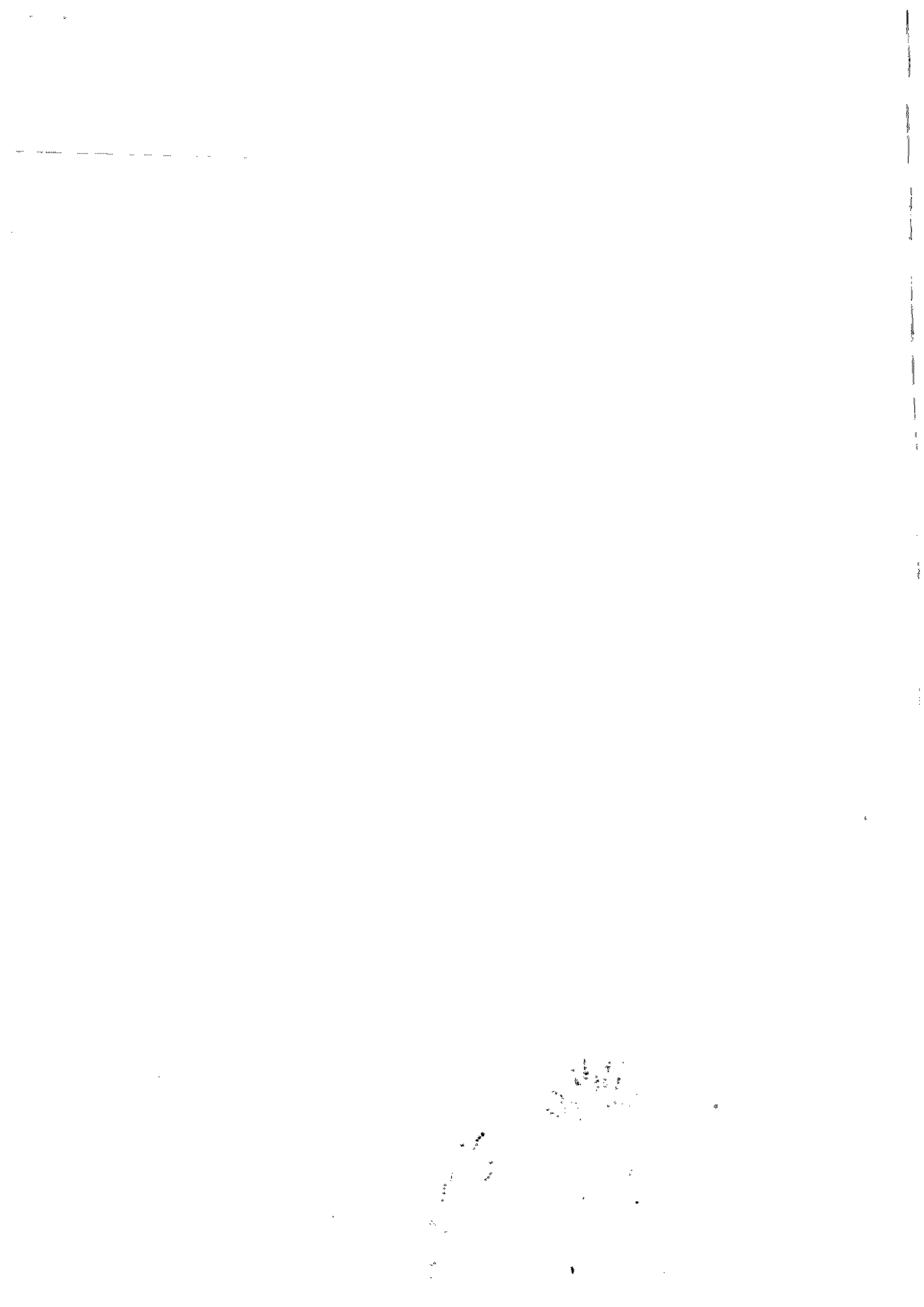

طبع منه ثلاثون ألف نسخة
للتوزيع في سبيل الله تعالى

يهدى ولا يباع